وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم : العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الثائر بن الناصر بن شهرة ودوره في مقاومة الجنوب الجزائري 1851-1875

إعداد الطالبتين

بن شعيب مسعودة

خديمي خالدية

إشراف الدكتورة

حباش فاطمة

الأستاذ: لزغم فوزية.....رئيسا

الأستاذ : حباش فاطمة..... مشرفا

الأستاذ: حمري ليلى.....مناقشا

السنة الجامعية :1436-1437هـ/ 2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

قال الله تعالى " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ "

الآية 152 من سورة البقرة

الشكر هو الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، يلجأ إليها الإنسان حينما يثقل كاهله عظيم الإحسان ، وإذا كان الاعتراف بالحق فضيلة ، فإن إسداء الشكر لمستحقيه فضيلة ، لقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

ومن هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بأسمى آيات الشكر و التقدير والاحترام إلى الدكتورة حباش فاطمة فلها منا جزيل الشكر .

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر و التقدير و الاحترام للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.

وشكر خاص للأستاذ باحمد ، وإلى كل أساتذة جامعة ابن خلدون ، وإلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد .

إهداء

إلى من كلله الله بالهبة والوقار . . . إلى من علمني العطاء بدون انتظار . . .إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

أرجو من الله إن يمد في عمرك كثرى ثمارا بعد طول انتظار . . . إليك والدي العزيز

إلى التي ضحت بالكثير من اجل أن أربا . . . إلى الصدر الذي يضمني كلما ضاقت بي الدنيا

إلى من تجرعت كأس الشقاء مرا لتسقيني رحيق السعادة . . . إلى أغلى واعز مخلوق عندي

إليك أمي الغالية

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله . . . إلى من اثرونى أنفسهم . . . إلى من علمني علم الحياة

إلى من اظهروا لي ما هو أجمل من الحياة . . .إخوتيعلي خالد كريم معروف بن شعيب فاطمة نعيمة و كل أبناء

أخوتي

إلى من هو في قلبي ولم يذكرهم قلمي كل عائلة بن شعيب وكل عائلة جوريح

إلى جميع دفعة ماستر 2015 / 2016

مسعودة

إهداء

اهدي هذا العمل الى من ربتني و سهرت على تربيتي جوهرة قلبي والدتي الكريمة و الى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب إلى من كلة انامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد أشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير والدي العزيز اطال الله في عمرهما إلى من قاسموني أفراحي و أحزاني إخوتي وأخواتي

الأعزاء كبيرا و صغيرا الى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة رهف ولحسن و إسلام و عزوز و آلاء

الى من شاركوني و دعموني في الحياة عائلتي و عائلة بومعزة خاصة هيبة

الى كل من يعرفني و جمعتني بهم الكلمة الطيبة و.....و الى كل من قدم لي المساعدة من قريب أو بعيد.

ا

خالدية

المختصرات

باللغة العربية :

م	ميلادي
تح	تحقيق
مج	المجلد
تر	ترجمة
تق	تقديم
تص	تصدير
مر	مراجعة
ج	جزء
د.ب	دون بلد
د.س	دون سنة
ط	طبعة
ص	صفحة

باللغة الفرنسية

B.S.G.O : Bulletin de la Société de géographié et archéologie de la province , d’Oran

RA : revue africaine

مقدمة

مقدمة:

تعرضت الجزائر حلال مسارها التاريخي لأخطر أنواع الاستعمار الأوروبي الحديث، وذلك لكونها تتمتع بموقع استراتيجي –جغرافي وسياسي- هام، الذي جعلها عرضة للغزو الفرنسي سنة 1830م، والذي يعتبر جزء من التحرك الاستعماري الأوروبي، الذي كان خلال القرن التاسع عشر وبرزت فيه حمى التسابق في الحصول على المستعمرات.

وبعد نجاح حملة فرنسا على مدينة الجزائر سنة 1830م بدأت تتطلع لتطبيق الاحتلال الشامل من خلال توسعها نحو المناطق الداخلية من هضاب وصحراء، وهنا كان رد فعل القبائل الجزائرية قويا معبرا على استمرار المقاومة العسكرية الأولى التي بدأها كل من الأمير عبد القادر وأحمد باي شمالا.

لكن هذه الاستمرارية جاءت بشكل جديد تجسد في ما يعرف بالثورات الشعبية، قادتها زعامات تميزت بنفوذها الديني والسياسي، ومن بينهم ابن الناصر بن شهرة موضوع بحثنا هذا الذي يعتبر من القادة المناضلين الذين كان لهم دور في عرقلة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية منذ الخمسينيات إلى منتصف السبعينات من القرن 19 م .

و بالرغم الدور الفعال الذي قام به إلا أنه تم إهماله من قبل الباحثين الجزائريين وذلك أن الكتابات الجزائرية، لم تتحدث عنه بشكل مفصل بل نجد البعض منها قد ذكرت اسمه فقط في إطار مساندته لثورة أولاد سيدي الشيخ أو ثورة بوشوشة وغيرها من المقاومات الأخرى التي شارك فيها، ولم تكن له دراسة مستقلة الأمر الذي دفعنا للبحث في حيثياته، بالإضافة إلى أسباب وعوامل أخرى دفعتنا لاختيار هذا الموضوع من أهمها:

- يعتبر القرن 19م من أهم المراحل الحاسمة في تاريخ الجزائر، حيث يمثل نقطة تحول من حالة سيكون إلى حالة نفور والقيام بثورات تجسدت في عدة مقاومات مسلحة كرد عن الإجراءات التعسفية عن الاستعمار الفرنسي.

- محاولة التعرف من خلال هذا البحث على منطقة الجنوب الصحراوي خاصة منطقة الأغواط التي تمثل مسرحا العديد من المقاومات.

- إن هذا الموضوع لم يحض بالكثير من الدراسات المعمقة، فالبعض من الباحثين تطرقوا إليه ولكن بذكر بسيط، وفي معظم الحالات بذكر اسمه فقط، دون الإشارة إلى ما قام به من نشاطات ومشاركات إلى جانب الثوار.

- محاولة توضيح مدى التأثير الديني والنفوذ السياسي في بعث فكرة الجهاد وروح المقاومة الوطنية ضد التوسع الاستعماري.

- وما زاد من أهمية الموضوع أن شخصية ابن الناصر بن شهرة كرجل مقاوم فرض نفسه في معظم الثورات التي قامت بالجنوب الصحراوي، وكان له حضور قوي برهن من خلاله على استنفار الاستعمار تاركا منجزات أشاد بها الصديق والعدو، وقد برز كقائد محلي حاملا راية الجهاد والكفاح مؤكدا على استمرارية المقاومة ضد الفرنسيين.

وخلال البحث واجهتنا عدة صعوبات ارتبط بعضها بالجانب المنهجي و بعضها بالمادة العلمية وأهمها:

- صعوبة الحصول على المصادر التي تتناول موضوع بحثنا هذا بشكل دقيق، مكتفية بذكر بعض الإشارات البسيطة وأغلب المؤلفين لم يتطرقوا إليه.

- يعد موضوع بحثنا من المواضيع الهامة والتي لم يتطرق إليه الكثيرون، وهذا ما شدنا إليه إلا أن أغلبه استنتاجي مما صعب علينا لم تشمل جميع المعلومات الخاصة به وبحياته النضالية.

- صعوبة الحصول على بعض المصادر خاصة إذا كانت منها نسخة واحدة .

وفيما يخص الإشكالية التي يدور حولها البحث فهي ترتبط ب: ً ما مدى أهمية الدور الذي قام به ابن الناصر بن شهرة في المقاومة الوطنية بالصحراء سواء من الناحية السياسية أو العسكرية؟ وكيف يمكن تصنيف نضاله في ثورات الجنوبالجزائري؟ ً .ب

وللوصول إلى حل هذه الإشكالية توجب علينا طرح بعض الاستفهامات والتساؤلات منها :

- ما هي العوامل الاجتماعية والسياسية التي ساهمت في تكوين شخصية ابن ناصر بن شهرة؟ وكيف يمكن تصنيف دوره من خلال ثورة محمد بن عبد الله سنة 1851م؟.وإلى أي مدى ساهمت مشاركته في ثورات الجنوب في تدعيم المقاومة الوطنية؟وهل كان لانتقال ابن ناصر بن شهرة من منطقة إلى أخرى أثرا في توسيع نشاطه النضالي في كل الثورات بدءا بثورة محمد بن عبد الله، فثورة أولاد سيدي الشيخ إلى ثورة الشريف بوشوشة؟.

ونظرا لطبيعة الموضوع ومن أجل الوصول إلى الهدف المنشود، وللإجابة على الإشكالية المطروحة، والإلمام بجوانب الموضوع إعتمدنا على المناهج العلمية من بينها:

- المنهج التاريخي السردي الوصفي والذي من خلاله عرضنا الأحداث التاريخية التي عاشها ابن ناصر بن شهرة ووصف مواقفه وأدواره فيها، كما تطرقنا إلى الطبيعة السياسية والجغرافية للمناطق الصحراوية ووضعها بعد الاحتلال الفرنسي. إضافة المنهج الإستنتاجي وذلك باعتبار طبيعة الموضوع التي استلزمت استنتاج المواقف التاريخية والأدوار التي قام بها ابن ناصر بن شهرة في الجنوب الصحراوي الجزائري.

وفيما يتعلق بالمادة العلمية التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا الموضوع فقد تم إلى جمع ما أمكن من مصادر ومراجع بالإضافة إلى بعض المقالات والأطروحات الأكاديمية التي تمايزت في أهميتها حسب علاقتها بالموضوع ما بين مصادر و مراجع نذكر منها: لويس رين Luis Rinn والذي أولى اهتماما كبيرا في كتاباته للمقاومات الشعبية ولكن تحسب على الكتابات الاستعمارية فكتابه Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie أبرز فيه أن القادة الثوار اتخذوا الدين والجهاد فقط غطاءا لطموحاتهم السياسية والشخصية بالإضافة إلى كتاب الحاج ابن الدين الأغواطي بعنوان رجلة الأغواطي الذي تطرقنا من خلاله إلى التعريف بمنطقة الأغواط وأهم ما ميز سكانها.

أما بالنسبة للدراسات الأخرى فيأتي في مقدمتها كتابات يحي بوعزيز والتي كانت أغلبها حول المقاومة الجزائرية فكان أهمها: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، وكذا كتاب موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب اللذان أفادنا كثير حول الدور الذي لعبه ابن ناصر بن شهرة في ثورة الشريف محمد بن عبد الله وكذلك كتاب إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء للجزائرية 1837م-1934م الذي تحدث كثيرا على مشاركة ابن ناصر بن شهرة في ثورة أولاد سيدي الشيخ وتناول الوضع بالجنوب الغربي للصحراء، كما ذكر من خلالها كيفية توسع وتغلغل الاحتلال الفرنسي في الجنوب الصحراوي عامة ومنطقة الأغواط خاصة.

كما اعتمدنا كذلك على دراسات أكاديمية احتوت على مادة تاريخية هامة نذكر أهمها مذكرة الماجستير للأساتذة حباش فاطمة التي تناول بالتفصيل معظم الأحداث التي وقعت منذ سنة 1820م على غاية 1896م خاصة ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م وكان عنوانها سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ 1820م-1896م وكذلك مذكرة عابدي حياة وقلول إيمان المعنونة بالمقاومة في الجنوب الشرقي (ثورة الشريف بوشوشة 1869م-1875م) دعمتنا هذه المذكرة في النشاط الذي قام به ابن ناصر بن شهرة في تدعميه لثورة بوشوشة، وكذا جمع شمل الثوار والتحاقهم بثورة المقراني لسنة 1871م.

بالإضافة إلى بعض المجالات التي أعنتنا في بعض المعلومات كمجلة الأصالة التي إعتمدنا عليها في معرفة شخصية ناصر بن شهرة.

ترتبط هذه الدراسة بشخصية تاريخية ابن الناصر بن شهرة، والتي كان لها أثر في ميدان الكفاح، إلا أنها جاءت واسعة شملت الظروف و الأحداث العامة للقرن 19م، والتي مرت بها الجزائر على كل المستويات السياسية الاجتماعية والاقتصادية، وتبعا للمادة العلمية التي تحصلنا عليها قسمنا الموضوع إلى أربعة فصول بغية الوصول إلى بحث شامل وصياغة عمل متكامل، بالإضافة إلى مدخل عام كان عبارة عن لمحة تاريخية عن منطقة الأغواط تشمل دراسة اجتماعية، اقتصادية، سياسية وحتى طبيعية

منطقة الجنوب الجزائري، وتطرقنا من خلاله إلى معرفة الإطار الجغرافي لمنطقة الأغواط والميزة السياسية للقبائل الصحراوية، وكذا معرفة الطابع المعيشي لها من خلال النشاط الاقتصادي لسكان الأغواط .

أما الفصول الأربعة فقد قسمت على أساس الدور المميز الذي قام به ابن ناصر بن شهرة في مسيرته النضالية منذ سنة 1851م-1875م حسب التسلسل التاريخي للأحداث.

حاء في الفصل الأول معنون بـ ابن الناصر بن شهرة قبل الثورة في ثلاث مباحث ، فكان:

المبحث الأول عبارة عن مرحلة استكشافية قامت بها فرنسا قبل دخولها لمنطقة الاغواط والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى المرحلة التوسعية الفرنسية وكيفية تغلغل السلطات الفرنسية بالجنوب الجزائري و بعدهما يأتي المبحث الثالث الذي عالج مرحلة من أهم مراحل حياة ابن ناصر بن شهرة، فكانت البداية التعرف على نسبه ومولده، بالإضافة إلى التعرف على قبيلته وعائلته ومظاهر نفوذه السياسي والديني في الصحراء.

أما الفصل الثاني فقد ورد تحت عنوان تحالف ابن ناصر بن شهرة مع الشريف محمد بن عبد الله 1851م-1861م ويندرج ضمنه مبحثين يتفرع عنهما عناصر وذلك لتسهيل عملية تسلسل الأحداث، فكان المبحث الأول عبارة عن مرحلة القوة والتوسع، تطرقنا فيه إلىالتعر يف بالشخصية التي تحالف معها ابن شهرة لمنع التوسع الفرنسي لمنطقة الأغواط وكيف ظهرت كزعامة دينية انضمت إلى بن شهرة وما قاما به من أجل ذلك؟ والمبحث الثاني بعنوان مرحلة الانسحاب التراجع تتبعنا فيه الخطوات التي داهمت ابن الناصر بن هرة ورفيقه محمد بن عبد الله ولجوئهما إلى تونس واعتقال الشريف محمد.

وفيما يخص الفصل الثالث فقد جاء بعنوان مشاركة ابن الناصر بن شهرة مع ثورة أولاد سيدي الشيخ والذي اندرج ضمنه ثلاث مباحث: فالمبحث الأول كان يتحدث عن أصل أولاد سيدي الشيخ ونفوذهم السياسي منذ العهد العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر أما المبحث الثاني فهو عبارة عن جملة من الأسباب التي قامت عليها الثورة وإبراز السبب المباشر لاندلاعهاويليها المبحث

الثالث وهو مشاركة ابن الناصر بن شهرة في ثورة أولاد سيدي الشيخ، من خلال تواجده في عدة عمليات عسكرية بمناطق مختلفة بورقلة وسعيدة والضاية.

أما الفصل الرابع والأخير كان حول النشاط الذي قام به ابن الناصر بن شهرة مع بوشوشة والمقراني سنة 1867م-1875م وشمل هو الآخر ثلاث مباحث، فالمبحث الأول درسنا فيه الظروف العامة التي أدت لاندلا ع ثورة بوشوشة وكذا ظهور جماعة المداقنة، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الدور الذي لعبه ابن شهرة مع الشريف بوشوشة في سيطرتها على ورقلة وتقرت وكذلك، بني يزقن، أما المبحث الثالث الذي جاء تحت عنوان مرحلة الضعف والتراجع عالجنا فيه فقدان السيطرة والانسحاب نحو الجنوب لكل من بوشوشة ومعه ابن الناصر بن شهرة إضافة إلى التطرق إلى الدعم الذي قدم للمقرانيين من قبل بوشوشة وابن الناصر بن شهرة.

وفي الأخير أنهينا البحثنا بخاتمة، هي عبارة عن استنتاجات لأهم المواقف والأدوار التي قام بها ابن الناصر بن شهرة في ميدان الكفاح.

مدخل

لمحة تاريخية عن منطقة الأغواط

بعدما تمكنت القوات الفرنسية من احتلال منطقة الزيبان فتحت الباب أمامها لاحتلال بقية المناطق الأخرى لتكون مناطق عبورها، ووجهت أنظارها صوب الأغواط التي تعتبر إحدى بوابات الصحراء ومن أهم واحات الجزائر.

1- تأسيس الأغواط وأصل تسميتها:

للأغواط تاريخ عريق يبدأ من العصور السحيقة وذلك حسب المعطيات القليلة لإقليم جيتوليا في القرون العتيقة، حيث كان يسكنها عدة قبائل أهمها مغراوة المنحدرة من زناتة التي رفضت الخضوع للسلعة الرومانية، ولم تقبل اعتناق المسيحية في حين رحبت بالإسلام منذ الوهلة الأولى لأنه يتلائم مع طبيعة السكان وينسجم مع مزاجهم فأدركوا بفطرتهم أنه شريعة الله في الأرض وهو الدين الحق.[1]

أما عن تأسيس المدينة فالوثائق التاريخية لم تحدد بالضبط تاريخ تأسيس الأغواط، وهناك إشارة إلى أنها كانت عبارة عن ضيعة تسكنها قبائل زناتة كما سبق الذكر اعتنقوا الإسلام في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي.[2]

بينما ترجع بعض الوثائق تأسيس الأغواط إلى السنوات الأولى من قدوم بني هلال،[3] إلى المنطقة في منتصف القرن الحادي عشر ميلادي، في حين نذكر وثائق أخرى بأن تأسيس الأغواط كان قبل قدوم

[1] إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع بوزريعة الجزائر، 2012م، ص، 108.

[2] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط02، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص، 107.

[3] بنو هلال: ينسبون الى جدهم بن عامر بن صعصعة بن معاوية...بن مضمر كانت مواطنهم في الجاهلية ببسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان و كان يسكنها بنو نمير بن عامر، و بو حشم، و لما جاء الاسلام و توسع العرب في الفتوح انتقلوا و تفرقوا بالمشرق و المغرب العربي، ينظر: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب (جائزة المغرب 1968)، ج1، المطبعة الملكية الرباط، 1388هـ - 1968هـ،ص، 412-413.

الهلاليين ثم استوطنها الإخلاف وأولاد سوغين الذين هاجروا من قورارة والجنوب الغربي الجزائري على إثر الحرب الأهلية.[1]

استقروا بخيامهم على ضفاف وادي الجدي[2] بسبب وفرة المياه والكلاء، كما سكنت المنطقة قبائل أخرى من منطقة الهضاب العليا الواقعة شرق جبار عمور والأغواط منها: زكال وأولاد زيد الذين طردوا من الزاب بعد هجوم قبائل بني هلال عليهم واستقروا مع من سبقهم وأسسوا قصر (قرية) أطلق عليه اسم ابن بوتا، ثم لحق بهم مهاجرون آخرون منهم أولاد بوراس القادمين من الزاب أيضا، أسسوا قرية بومندالة بينما أولاد بوزيان ودمان الغرابة شيدوا قصر نحال وسيدي ميمون، كما أسست بعض القبائل النازحة من الزاب قرية بدلاة وقصبة ابن فتوح.[3]

وبعد تأسيس المدينة أصبحت عبر قرون ملجأ للفارين من المشاكل السياسية والدينية، فبعد سقوط الدولة الموحدية فر بعض أنصارها إلى الأغواط حوالي سنة 1269م كما لجأ إليها السلطان المريني أبو حمو موسى الذي أمر بمطاردته السلطان عبد العزيز سلطان فاس على إثر إصدام ونزاع بينهما.[4]

وفيما يخص أصل تسمية الأغواط، فهنالك من يرى بأنها جاءت من كلمة لقواط جمع قوطي وتعني باللهجة العامية اللعبة التي نصنع من الحلفاء وتوضع في داخلها مختلف الأشياء، في حين يزعم[5]

---

[1] أحمد توفيق المدين، كتاب الجزائر (تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية وسياسية وعناصر سكانها ومدنها ومقامها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والغابة الاجتماعية، ط1، المطبعة العربية، ص، 194.

[2] وادي جدي: يأخذ منابعه بالقرب من مدينة أفلو بجبال عمور، وهذه الجبال تعتبر منطقة تتسم الميادين وادي جدي إلى الجنوب والوادي الأويل إلى الشمال يجري وادي جدي في منطقة اكسارية نتيجة للحركة الالتوائية التي أصابت سلسلة الأطلس الصحراوي متجها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي مارا بمدينة الأغواط وأولاد بلال إلى أن يصل إلى شط ملغيع، ينظر: بسام العسلي جهاد الشعب الجزائري الله أكبر، وانطلقت ثورة الجزائر، دار الرائد، دار النفاس، طبعة خاصة، 1431هـ/2010م، الينابع الجزائر، ص،77.

[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزئرية 1837م-1934م، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص، 86.

[4] إبراهيم مياسي روح الأمير ... ص، 110.

[5] كمال إبراهيم، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيني ورشيد بورويبة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص، 98.

البعض الآخر أن لقواط سميت باسم سكانها وهم فرع قبيلة مغراوة من نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هنالك قصر مشهور بهم ولهذا يطلق على سكان هذه المنطقة (بني الأغواط).[1]

أما العياشي فقد ذكرها عندما مر بها في 28 أفريل 1662م، واصفا إياها بقوله: «نزلنا الأغواط قبل الظهر يوم الأحد السادس عشر من رمضان ... فقالوا لأهل البلدان: في الركب وباء، فلم يشركوا أحدا يدخل إليهم ووجدنا الغلاء كثير عندهم ... وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ...»[2]، وهذا يدل على أن لفظة الأغواط كانت متداولة منذ قرون وبالتالي اسم مدينة الأغواط بيس من المصطلحات الجديدة.

كما نجد اسم مدينة الأغواط مذكورا في العديد من كتب الأروبيين الذين زاروا المنطقة بصفتهم تجارا أو جواسيس، ومنهم الرحالة الألماني مالتسان Malitisan الذي ذكرها بقوله «... رأينا الأغواط فوق التلين الأولين وعلى هذا فهي مدينة تتوج واحة نخيلها كملكة تتعالى عرش بلدان مضطهدة محاطة ببساتين النخيل كان يقع الكثير منها داخل أسوارها ... وبقدر مساحة تقدر بحوالي خمسمائة هكتار مقسمة إلى عدة أقسام يحيط بها سور...».[3]

وعليه فمهما اختلفت الروايات فإن أغلب المصادر التاريخية أجمعت أن اسم مدينة الأغواط هو جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين أو المكان المزروع جيدا، وقد استمدت هذا الاسم من خلال القرى والمنازل التي كانت مبعثرة على امتداد حوالي ثلاثة كيلو مترات.[4]

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب الصبر، المجلد 07، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص، 56، 58 ط3، الطبعة 2006م.

[2] عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، المجلد الثاني 1661م-1663م، تح وتق، د سعيد الفاهلي، سليمان القريعي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص، 546.

[3] علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، تق و تح: بوعزة، يوفر سياسة وزارة الثقافة، 2008م، ص، 82.

[4] إبراهيم مياسي، روح الأمير ...، المرجع السابق، ص، 110.

2- الموقع الجغرافي والفلكي:

تعتبر الأغواط إحدى المدن الجنوبية للجزائر الشهيرة، المعروفة بواحاتها البديعة فهي من أبدع مدن الجنوب[1] تنتشر عبر الضفة اليمنى لوادي امزي الذي يقسمها إلى شطرين وهو يجري وسطها[2]، يأخذ مجراه من جبال عمور غربا ويتوجه نحو الشرق وبعد أن يجتاز منطقة الأغواط يتحول اسم آخر وهو وادي جدي الذي يعبر جزء كبير منه واحات الزيبان ثم يصب في شط ملغيغ[3].[4]

تتسع من الشرق إلى الغرب فوق ثلاثة تلال على هيئة زاوية ناتئة منعزلة بين سهل، من الشمال وبدون حدود من الجنوب، وهي في الجنوب أكثر انحدارا منها في الشمال[5]، وتوجد فيها سدود على وادي أمزي لتوزيع المياه، وبها نظام ومحطة للري وواحة بديعة تشمل على ما يزيد عن 25 ألف نخلة،[6]

وبالتحديد هي من المدن الوسطى للصحراء مقامة على الأنهار تبعد عن مدينة الجزائر بأكثر من أربعمائة كيلو متر، (400)ك.[7]

أما فلكيا تقع الأغواط على خط عرض 45^0 و33^0 شمالا وعلى خط طول حوالي 03 شرقا وهي ترتفع عن سطح البحر بـ 727 م-800م.[8]

---

[1] الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، تأو، تح، أبو القاسم سعد الله، مجموع الرحلات المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م، ص، 88.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص، 19.

[3] شط ملغيغ: ينخفض على مستوى البحر بـ 31 متر وهو شط واسع الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية وتظهر على حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة وتغمره المياه في فصل الشتاء، ينظر: بسام العسلي، المرجع السابق، ص، 107.

[4] علالي محمود، المرجع نفسه، ص، 27.

[5] عيسى عطاسي، سورة الجزائر في أدب الرحالة الفرنسي، صيف في الصحراء لفرومنيتي أو حين نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2005م-2006م، ص، 56.

[6] حمدان بن عثمان بن خوجة، المرآة تح، محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون، المطبعة وحدة الرغاية، الجزائر، 2006م، ص، 44.

[7] علالي محمود، المرجع السابق، ص، 27.

[8] إبراهيم مياسي، روح الأمير ...، ص، 107.

وبالنسبة للمناخ السائد بها فهو المناخ الصحراوي القاري، ففي فصل الصيف ترتفع درجة الحرارة إلى 50^0 وتنخفض في الشتاء إلى الصفر والمدى الحراري خلال السنة كبير[1]، وهي تكاد تكون منعدمة المطر ولا ينزل بها الغيث إلا عرضا، حيث تسجل نسبة الأمطار في الأغواط 174 مليمتر، وأحيانا تمر السنوات دون أن تنزل قطرة مطر.[2]

وبالنسبة للطابع العام للمدينة، تميزت الأغواط كباقي المدن الصحراوية بطابعها العسكري حيث يحيط بها سور مثلث ذو شرفات بها فتحات ضيقة يطلق منها القذائف وبرجان أحدهما في الشرق والآخر في الغرب[3]، كما تميزت بكثرة القلاع والأبراج وبها العساكر وحولها تحصينات ولها أربعة أبواب.[4]

أما نمط بناءها وكل ما يتعلق بالمنازل والمساجد والأضرحةو الأسواق ... وغيرها، فقد بنيت الأغواط وفق مخطط بسيط يقوم على تقليص الفضاء لحساب الظل فهي مكونة من أزقة وممرات ضيقة وطرق مسدودة ولها شارعان واحد في الشمال وآخر في الجنوب.[5]

وفيما يخص المنازل فهي متباعدة وأغلبها مشيدة من الطوب المستخرج من الطين من البساتين[6] ثم يعجن بالماء ويقسم قطعا متساوية ويجفف تحت أشعة الشمس ثم يوضع فوق بعضه البعض صفوفا متراصة ويلبس بالطين[7]، وتوجد بعض المنازل المبنية من الحجر والملاط.[8]

[1] عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1866هـ/1916م، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص، 12.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص، 169-170.

[3] عيسى عطاسي، المرجع السابق ، ص، 55.

[4] الأغواطي، المصدر السابق، ص، 88.

[5] عيسى عطاسي، المرجع نفسه، ص، 56.

[6] إبراهيم المياسي، الاحتلال ...، ص، 87.

[7] عيسى عطاسي، المرجع السابق ، ص، 56.

[8] الأغواطي، المصدر نفسه، ص، 89.

ويتكون المنزل الواحد من فناء مربع شكل من غرفة أو غرفتين على الأكثر ورواق مظلم لا يجذب ضوء النهار إلا من باب منخفض ومفتوح دائما، لا تدخل منه الشمس إلا عندما تكون مائلة تماما في الصباح أو المساء، وكان بعض السكان يفضلون العيش في الخيم ويسمون بالبدو الرحل.

أما عن أبواب المنازل الخارجية فبعضها مؤطر بالبياض وآخر ترفع فوقه هيئة صورة مرسومة بالأزرق تمثل بدا مفتوحة.

ومن بين المناز ل (دار الصفاح La Mission Des Rocher) وهو من المنازل المتواضعة في علوها ونصاعة لونها وسمي بذلك لأنه بدون نافذة خارجية[1] كما يحتوي إقليم الأغواط على عدة قصور (العسافية)، قصر الجيران، الحويتة، تاجموت[2]، عين ماضي[3] ولكل قصر طابعه الهندسي الخاص يميزه عن عن بقية القصور، بحيث نجد قصر عين ماضي المسمى بدار الضياف له هندسته المختلفة، يحتوي على فناء كبير وهو جميل المظهر واسع من حيث المساحة.[4]

وبالنسبة للمساجد فيوجد بها أربعة مساجد[5] من بينها المسجد العتيق الذي حوله المستعمر الفرنسي الفرنسي بعد احتلال الأغواط 1852م إلى كنيسة بالإضافة إلى تواجد الأضرحة بها كضريح الولي الصالح (سيدي الحاج عيسى) وهو بناء مكعب صغير من الجبس الأبيض بقية مخروطية الشكل ونتوء مسنن في زاوية أما من الداخل فمغطى بعناية ومزخرف بكتابات عربية.[6]

[1] عيسى عطاسي، المرجع نفسه، ص، 57.

[2] تاجموت: تقع على مسافة يوم شمال الأغواط، و ينقسم سكان هذه القرية الى فريقين، وليس لهم رئس أو حاكم، ينظر: الأغواطي، المصدر السابق، ص، 88.

[3] عين ماضي: تقع غرب تجموت، لها أسوار مشيدة و باب، وبها مركز التجانية و هي من أجمل الواحات بالجنوب الجزائري، ينظر: الأغواطي، نفسه، ص، 88.

[4] إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص، 105.

[5] عيسى عطاسي، المرجع نفسه، ص، 58.

[6] الأغواطي، المصدر نفسه ، ص، 88

لم يكن بالأغواط أماكن مخصصة للسوق ولا حمامات ولا يوجد منارات في المساجد لتظهر فيما بعد أماكن خصصت للتسوق والبيع والشراء وبعض الحمامات.[1]

كما اشتهرت الأغواط بواحاتها الواسعة وبساتينها المتنوعة وحدائقها الغناء[2] المنتشرة في الشمال والجنوب لأن جبال تقرارين المتمركزة في وسطها تفصلها إلى مجموعتين متباينتين[3]، و هي تنتج الفواكه بكثرة من بينها التمر، العنب، والسفرجل، الرمان والإيجاس[4]، وأنواع عديدة من الخضر.

وبالنسبة للنباتات فتوجد بها أنواع مختلفة مثل السدرة والصمغ والسيطوم وغيرها من النباتات الصحراوية[5]، كما توجد بالأغواط العديد من الحيوانات مثل الثعابين، العقارب و هي الخطيرة جدا لأنها تختبئ في الرمال بالإضافة إلى الأفاعي وهي بأحجام مختلفة.[6]

3- الحياة الاجتماعية للسكان:

ينقسم السكان إلى فريقان فريق سمي الأخلاف وفريق يسمى أولاد سرغين وهم غالبا في حالة حرب وسبب الخصومة على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة.[7]

أما بالنسبة للأعراف المنتشرة في منطقة الأغواط نجد قبيلة الأرباع الكبرى-المتألفة من أربع فروع وهي المعامرة، الحجاج، أولاد صالح، أولاد زيد، وتنتشر هذه القبيلة بين الجلفة في الشمال وبسكرة في الشرق وغرداية في الجنوب وآفلو في الغرب، كذلك عرش أولاد سيدي عطا الله، وقبلة الحرازلة المشهورين بالأغواط فضلا عن قبائل أخرى، وفدت إلى المنطقة عبر الحقب الزمانية واستقرت ورحلت وبقيت

[1] إبراهيم محمد الساسي، العوامر تح، الجيلالي بن إبراهيم ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ط2، منشورات ثانة الأبيار، الجزائر، 2009م، ص، 39.

[2] إبراهيم مياسي، روح الأمير ... ص،107.

[3] احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص، 146.

[4] حمدان خوجة، المرجع السابق، ص،45.

[5] الاغواطي، المصدر السابق، ص، 88

[6] ابراهيم مياسي، روح الأمير...، المرجع السابق، ص، 188

[7] الأغواطي، المصدر نفسه، ص، 88.

أثارها[1] وفي بداية القرن الثامن عشر الميلادي بدأت معالم مدينة الأغواط تستقر من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على الضفة الغربية لوادي امزي.

فالمدينة الغربية يقطنها أولاد سرغين (سرقين) أما المدينة الشرقية فيسكنها أولاد حلاف (الأحلاف) وكل فريق منها مسجده وإدارته المتميزة وسوقه الخاص ولكل أعراشه وبطونه:

أولاد سرغين تتألف من:

- جماني وبدرارة، المنحدرين من الأغواط الأكسل.
- أولاد سخال، الأتين من أولاد زيد في الزاب.
- فيلجا، أتين من الجنوب التونسي.

أولاد حلاف تتألف من:

- أولاد حزين، أصلهم من فرجبوة.
- المغاربة، جاء ومن فقيق بالمغرب الأقصى.
- أولاد عبد الله وأولاد سالم جاءوا من قورارة.
- أولاد بوزيان الذين ينتمون إلى فرع الحجاج.[2]

أما عن التركيبة السكانية فيوجد بالأغواط كباقي المناطق الجزائر الأخرى خاصة المدن الصحراوية ثلاثة أجناس أساسية تشكل تركيبة السكان ويتكلم أغلبهم اللغة العربية.

[1] إبراهيم مياسي، روح الأمير ...، المرجع السابق، ص، 108.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ... ص، 88.

-الميزابي الأمازيغي:

يمثل بني ميزاب[1] أكبر تجمع سكاني بمدينة الأغواط يتميزون بالغنى والشراء، كانت تربطهم بالسلطة العثمانية علاقات جد ممتازة وحاولت الحكومة الفرنسية الحفاظ على تلك العلاقة من خلال تعاملها معهم باحترام كبير.

واشتهر بني ميزاب بالتجارة وحسن المعشر مع العرب الذين ربطتهم معهم علاقة مثالية قائمة على الود والتفاهم وتبادل المصالح والمنافع.[2]

-الجزائري من أصول إفريقية:

وهم الرقيق الذين جلب من مناطق مختلفة من البلاد الإفريقية المجاورة ويتم بيعهم في الأسواق للاستعانة بهم في الحروب والتدبير المنزلي وسائر الأعمال اليومية ولكن لم ينظر لهم نظرة سلبية ولم تكن فوارق اجتماعية في القبيلة.[3]

-الجزائري العربي:

وهم من أكثر الأعراق الجزائرية عددا وانتشارا في جميع مناطق الجزائر بما في ذلك الأغواط ويقال أنهم دخلوا المنطقة مع دخول الإسلام للمغرب العربي وانتر في بلدانه بعدما أرغم النوميديين على مغادرتها

[1] بني ميزاب: اغلبهم من قبائل نفوسة و فيهم الكثير من عرب الأقحاط و القليل من القبائل العربية الأخرى، تشمل شبكة المدن الميزابية (غرداية، بني يزقن و بنورة و مليكة و القرارةو العطف و بريان)، كان لهم حضارة و عمران في هذه المراكز و نجد أغلبهم على المذهب الإباضي، ينظر: احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المجلد8، ط،خ ،عالم المعرفة للنشرو التوزيع، الجزائر، 2010، ص، 241-242.

[2] حمدان خوجة، المرجع السابق، ص، 60.

[3] عيسى عطاسى، المرجع السابق، ص، 64.

واستقروا بالواحات المجاورة كواحات الأغواط.[1]

وتميز سكان الأغواط بلباسهم المصنوع من الصوف حيث يشترك الرجال والنساء في ارتداء اللباس الفضفاض الذي ورثته لهم بيئتهم الصحراوية وحياتهم الهادئة[2]، كما اشتهر السكان بالفروسية والكرم والجود والشجاعة والأخلاق الحميدة فلا يرضون بالفعل الرديء الديني وهم ماهرين في ركوب الخيل والرماية والقيادة التي توارثوها فيما بينهم.[3]

ويعتبر سكان مدينة الأغواط كباقي السكان الجزائريين متمسكين بالمظاهر الدينية والتعبدية، حيث كانوا يصمون شهر رمضان ويتحملون الجوع والعطش لساعات في ظروف اجتماعية ومناخية قاسية وهذا يدل على قوة إيمانهم وتمسكهم الشديد بالدين.[4]

كما عرف عن السكان احترامهم الشديد للدراويش بحيث كانوا يعتبروهم شخصية دينية مقدسة بالإضافة إلى أولياء الله الصالحين،[5]و إنتشر التصوف وتنامت الزوايا والطرق الصوفية وكثر الحديث عن أعمال المتصوفين وكراماتهم حيث كانت تلك الفئة محل إعجاب واحترام السكان.[6]

4- الحياة الاقتصادية:

ارتبط نشاط السكان بتربية الجمال و البقر والخيول والماشية بالإضافة إلى ممارسة الزراعة كالحبوب والرمان وغيرها من الفواكه والخضر، التي كانت تزرع من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي.

أما عن التجارة فتعتبر الأغواط همزة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب كونها تحتل موقع استراتيجي هام في وسط الجزائر، وهذه الميزة جعلتها محط رحال العديد من العلماء ورجال الدين ومقصد

[1] حسن بن محمد الوزان الفاسي (لبون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر، محمد حجي وآخرون، ط02، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص، 62.

[2] الأغواطي، المصدر السابق، ص، 88.

[3] حمدان خوجة، المرجع السابق، ص، 37.

[4] عيسى عطاسي، المرجع نفسه، ص 69.

[5] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ،المرجع السابق، ص، 28.

[6] الأغواطي، المصدر نفسه، ص، 89.

الكثير من التجار لاسيما الميزابين واليهود الذين اشتهروا بتفوقهم من مجال التجارة لكونهم يشتغلون في صناعات مختلفة.[1]

ويوجد بالأغواط شارع وحيد للباعة حيث تفتح به مقاهي ودكاكين صغيرة لبيع الألبسة ولوازم الخياطة أو مغازات صغيرة للنسيج والقماش، ومحلات خياطة يفتحها ميزا بيو ن وورشات صغيرة يمارس فيها اليهود حرفة الحدادة وصناعة الحلي والفضة، وسوقان واحد للأحلاف وآخر لأولاد سرقين تباع فيهما الأغنام والمعز والدجاج ومختلف المنتوجات الفلاحية والحاجيات الضرورية للسكان.

ومن المرافق التي تكتسي طابعا تجاريا (حمام ابن سالم) الذي كان يقصده الناس للاغتسال والاستحمام خاصة في المناسبات الدينية وعند القيام بالعبادات المفروضة.[2]

ولأن التجارة كانت رائجة فيها فقد كانت تمثل مصدر ثروات الجزائر وأساس كيانها السياسي طيلة قرون.[3]

5- الحياة السياسية للأغواط:

تعتبر الأغواط من المدن الصحراوية للجزائر التي لم تتعرض لأي سلطة إدارية إلا بقوة وذلك أن سكانها يعيشون حياة مستقلة عن البقية.

أ- أثناء الحكم العثماني:

لم تخضع منطقة الأغواط لأي حكم إداري بإرادتها فالأتراك الذين خلفوا العرب فيها بعد، عمدوا على أساليب التخويف لفرض الطاعة على السكان، وكانت علاقتهم مع سكان المنطقة غير وطيدة[4]، وبقي الحكام لأتراك يتنازعون السيطرة على الأغواط مع السلطة المغربية.

[1] حمدان خوجة، المرجع نفسه، ص، 47.
[2] عيسى عطاسي، المرجع السابق ، ص، 58.
[3] الأغواطي، المصدر السابق، ص، 89
[4] علالي محمود، المرجع السابق، ص، 83.

وفي عهد البايلرباي امتد نفوذ الإيالة الجزائرية حتى الأغواط ضمن بابلك التيطري الذي نظمه حسن باشا خير الدين، وعين عليه سنة 1548م الباي رجب كأول باقي على إقليم التيطري عاصمتها المدية.[1]

وبعد النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي عرفت المنطقة نوعا من التخلخل السكاني، حيث غادر عرب يوسف قصر بدلاه حوالي سنة 1666م، بعد خصومات ومشاكل عديدة مع جيرانهم وأسسوا قرية تاجموت على بعد 32 كلم شمال غرب الأغواط على ضفاف وادي أمزي ليستقروا بها[2]، وفي نفس الفترة نزح أهل قصبة ابن فتوح على إثر الحادث الأليم وذلك أن سيدي ناصر ولي صالح بقصر ابن بوتا كان يحظى باحترام الجميع، وكانت له فتاة جميلة، خطبها ابن رئيس قصبة ابن فتح بعدما أحبها، لكن والدها رفضه وزوجها من أحد شباب قرية ابن بوتا، فاغتاظ وعزم على الانتقام وفي يوم الزفاف وتحت الظلام الشديد قام بقتل الزوج وفر بالزوجة فلحقه أنصار الوالي الصالح فقام بذبح الفتاة وانتحر، وحين علم سيدي ناصر بالخبر الحزين أخذ حفنة من التراب ووضعها في كفه ونسفها ثم دعا على السكان بأن ينسفهم الله كما نسف هذا التراب، وقد استجاب الله لدعوته، وأصبحت قصبة ابن فتوح خالية من سكانها الذين توزعوا عبر مناطق كثيرة من بينها غدامس[3].[4]

ومن المراحل البارزة التي عرفها تاريخ الأغواط بروز شخصية الحاج عيسى[5] الذي حل بالمنطقة في سنة 1698م واستقر بقصر ابن بوتا وشرع في تعليم الناس القرآن الكريم ونشر التعاليم الدينية الصحيحة

---

[1] إبراهيم مياسي، روح الأمير...، المرجع السابق، ص، 110.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال...، المرجع السابق، ص، 88.

[3] غدامس: تقع في الصحراء الليبية وتشكل جزء من الإقليم الفرعي غربان، أحد أقاليم الفرعية للإقليم طرابلس، وتقع على بعد 630 كيلو متر جنوب غرب طرابلس، قريبة جدا من نقاط الوصل مع الحدود الجزائرية والتونسية، وتقع على ارتفاع 350م فوق سطح البحر وهي من أهم المدن التيجارية التي تربط وسط إفريقيا مع شاطئ البحر المتوسط ، ينظر: سعد خليل القزيري، المحافظة على المدن القديمة، ط1، دار الكتب الوطنية، ببنغازي، ليبيا، 2007م، ص، 131.

[4] إبراهيم مياسي، من قضايا...، المرجع السابق، ص، 109.

[5] الحاج عيسى : رجل علم وإصلاح ولد بتلمسان سنة 1668م وتوفي بالأغواط سنة 1737م وهو من العائلات العريقة بتلمسان أبوه عيسى بن إبراهيم وأمه محبوبة بنت الحاج بوحفص زعيم أولاد سيدي الشيخ، غادر تلمسان سنة 1694م، ومر على وهران وبعدها ابن بوتا واستقر فيها وأخذ الطريقة من الولي الصالح سيدي ناصر وحضي بتقدير واحترام الجميع ، ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال...المرجع السابق، ص،134.

والأخلاق النبيلة، فأصبح سكان الأغواط يتبركون به واعتبروه ولي الله الصالح، واستطاع وضع حد للخصومات وجمع شمل أهالي المنطقة.[1]

وفي سنة 1727م، خضعت الأغواط مرة أخرى إلى باي المدية شعبان زناغي الذي فرض عليهم الضريبة السنوية المقدرة بسبعمائة (700 ريال)[2] وخلال سنة 1736م هاجرت قبيلة أولاد بكيرة المنحدرة من بني ميزاب إلى الأغواط إثر الخصومات الحادة التي وقعت بالمنطقة و تجمعت حوالي أربعين عائلة لم يأتمنوا جانبهم، فطردوهم من المدينة سنة 1741م ورجعوا إلى وادي ميزاب وأضمروا لهم الحقد وأرادوا الانتقام.[3]

وفي سنة 1748م الموافق لـ 09 ربيع الأول 1199هـ خرج الباي محمد بن عثمان ليقاتل بني الأغواط وعين ماضي، لأنهم لم يلتزموا للطاعة ولم يمتثلوا لحكمة وقاتلهم حتى دخلوا في طاعته وصاروا يؤدون اللزمة كل سنة.[4]

واستمروا في تقديم الضريبة المفروضة عليهم في أيطار الطاعة والولاء لحكمه حتى سنة 1748م عندما قدم مصطفى باي المدية ليخيم برأس العيون شمال الأغواط والتي امتنع أهلها عن دفع الضريبة، ليرجع خائبا بعد أن خاض قتال شديد على السهل الممتد شمال الغربي من المدينة.[5]

وفي سنة 1785م عزم باي الغرب الجزائري محمد الكبير على إخضاع الأغواط والانتقام منها على شرط أن تكون تابعة لبايلكه[6] وبعد إخضاع عين ماضي وتاجموت ارتحل ونزل المنزل المسمى (أم

[1] إبراهيم مياسي، روح الأمير...،المرجع السابق، ص، 111.

[2] علالي محمود، المرجع السابق، ص، 35.

[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...،المرجع السابق، ص، 134.

[4] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، تح: تقك المهدي البوعبدلي الشعر الجسماني في اتسام الشعر الوهراني، ط1، مطبعة البحث قسنطينة، مارس 1973م، ص، 138.

[5] أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح تق: محمد بن عبد الكريم، ط1، الناشر عالم الكتب ، القاهرة، يونيو 1969م، ص، 51.

[6] إبراهيم مياسي، روح الأمير...، المرجع السابق، ص، 112.

الضلوع) وعندما وصل المنزل قدم مشايخ (الأغواط) وعلماؤهم، وهم يحملون في أيديهم "كتاب) صحيح البخاري –رضي الله عنه- طالبين الأمان على أنفسهم وأهليهم، فأعطاهم الأمان بعدما عرض عليه الطاعة مع مائة خادمو خمسة آلاف سلطاني ومائة ثوب وأربعة أفراس.

لكنهم حينما رجعوا مدينتهم قرروا نقض العهد وعدم دفع الغرامة المفروضة عليهم سنويا ورمموا الأسوار وجندوا الجنود وجعلوا الرماة في الأبراج العالية، وغلقوا أبواب المدينة، ولما علم الباي محمد الكبير بذبك عزم على دخول المدينة عنوة، وبعد قتال بين الطرفين دام فترة من الزمن أدرك الباي محمد الكبير أن القتال لا يجدي نفعا فقرر إرسال مكتوب لأهل الأغواط يحذرهم وينذرهم ويكلمهم بعزمه على مواصلة القتال وجاء فيه: «بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، إلى كافة علماء بني الأغواط بعد السلام عليكم ورحمة الله إن بلغتكم كتابي هو أخرجوا غدا عيالكم وأولادكم من هذه القرية الظالم أهلها وانحازوا خارج المدينة إلى جهة، وعليكم أمان الله وإن خفتم من بعض العسكر أن يوقع بكم من يحرمكم ولا تختلفوا بالقوم التي أراد الله هلاكها، فإن قبلتم النصيحة فاحذروا الفضيحة وإن أبيتم فإن أولادكم عليهم والسلام» وختم الكتاب و بعثه[1] وحينها طلب العلماء المغفرة عن ذنبهم وقدموا للباي ضمانات ورهائن من أبناء كبارهم ومشايخهم إذن الأمن وعين القائد أحمد بن لخضر على موقين والقائد سائح بن زنون على أولاد حلاف كما جمع الغنائم والضرائب ورجع إلى معسكره.[2]

لم تمضي سوى فترة قصيرة حتى تمرد أهل الأغواط مرة أخرى حيث أنهم يمثلوا لممثل الباي ليرجع الباي محمد الكبير إلى الأغواط سنة 1786م على رأس جيش قوي لكنه لم يستطع إخضاع عين ماضي لأن واليها سي أحمد التيجاني[3] كان قد حصنها بسور منيع لذلك انتقل إلى الأغواط.[4]

---

[1] إبن هطال التلمساني، المصدر نفسه، ص، 52-62.

[2] إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي...،المرجع السابق، ص، 90.

[3] أحمد التيجاني: مؤسس الطريقة التيجانية ولد سنة 1737م بعين ماضي توفي بفاس سنة 1816م كان عالما وزاهدا اشتهر بالصلاح والفلاح وكان مقصد الكثير من الناس للانتفاع والتبرك عرفت طريقته انتشارا واسعا خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال ... ، المرجع السابق، ص، 96.

[4] إبراهيم مياسي، روح الأمير...، المرجع السابق، ص، 113.

وفي سنة 1787م خلف الباي عثمان الباي محمد الكبير وعزم على الانتقام من هزيمته السنة الماضية في عين ماضي فحاضرها وهدد أهلها بالهلاك إن هم لم يرجعوا عن عصيانهم وذلك بقطع سبل أرزاقهم[1]، وحتى ينقادوا المتاعب والخسائر فضل سكان عين ماضي الخضوع وامتثلوا بدفع الضرائب بعد أن تمكن الشيخ أحمد التيجاني من الفرار واللجوء إلى بوسمعون، ثم إلى فاس بالمغرب الأقصى حتى توفي بها سنة 1815م.[2]

ثم عرج الباي عثمان على الأغواط لينتقم من الذين ناصروا الشيخ أحمد التيجاني خاصة أولاد الأحلاف الذين فروا من الأغواط ليؤسسوا مع أولاد رحمان قصر الحيران لكن ما لبث حتى نشبت بينهم خصومات عديدة وعنيفة، فقد على إثرها أولاد حلاف زعيمهم السائح بني زنون الذين لم يكن له أولاد فعوضه ابن أخيه أحمد بن سالم الابن الأكبر لمعمر واستطاع أحمد بن سالم[3] أن يكسب ود الجميع ويحكم الأغواط بمفرده بعد أن تزوج من بنت قائد أولاد سرغين أحمد بن لخضر.[4]

وعرفت الأغواط خلال حكمه نوعا من الاستقرار والهدوء سمح بنمو وازدهار الحركة التجارية خاصة فيما يخص التبادل التجاري مع أهل الشمال بسلعهم الغذائية كالحبوب مقابل التمور والسلع الإفريقية.[5]

ب- الأغواط تحت سلطة الأمير عبد القادر:

عرفت الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي مرحلة عويصة خاصة السنوات الأولى (1830م-1837م) أثرت على البلاد والعباد، وكانت الجهات الصحراوية أكثر تضررا لأنها شهدت أحداث خطيرة وحاول

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال ...،المرجع السابق، ص،91.

[2] إبراهيم مياسي، من قضايا ...، المرجع السابق، ص، 91

[3] أحمد بن سالم: ينتمي الى أسرة عريقة من المرابطين في منطقة القبائل، و يعتبر من شيوخها أشتهر بعله و فضله، ينظر: أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري1808م-1847م، ج2، ط1، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2007، ص، 21.

[4] علالي محمود، المرجع السابق، ص، 36.

[5] إبراهيم مياسي، من قضايا ...، المرجع السابق، ص113.

كل من الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر[1] فرض السيطرة خاصة الأمير عبد القادر الذي حرص منذ الوهلةالأولى على إرساء أركان دولته الفتنة على الاستقرار والأمن وذلك بإخضاع القبائل تحت سلطته كما عمل على استقطاب القبائل الصحراوية إلى صفوفه قبل النفوذ الفرنسي إليهم منهم سكان الأغواط.[2]

ففي سنة 1837م حدثت في الأغواط عدة مشاكل ولعلى من أبرزها اعتراض الحاج العربي حليف أولاد سرغين على أحمد بن سالم حول حيازة بعض الملكيات العقارية وتم طرد الحاج العربي الذي لجأ إلى زينينة[3]، [4] وهذا الحدث أثر على سكان الأغواط وتقدم وفد من بني الأغواط الشراقة وقدموا طاعتهم وولائهم للأمير عبد القادر الذي كان متواجد بالنواحي الجنوبية فتقبلها وولى عليهم وعلى من يليهم من القبائل السيد الحاج العربي[5] وردهم إلى بلادهم فأذعن الناس للخليفة وقبلوا ولايته ومشت كلمته وأصبح وأصبح السيد الحاج العربي الحاكم الشرعي للمنطقة[6] ودعمه الأمير عبد القادر وزوده بالأسلحة والذخائر ونحو سبعين جندي من جنوده ليكونوا حراسا عليه متجاهلا بذلك أحمد بن سالم.[7]

جمع الخليفة الجديد قوم الأحرار وأولاد خليف وأولاد شايب والأغا جلول وهو أغا جبال العمور بقرية سيدي بوزيد الواقعة على سطح جبال عمور، ووصل ولاء شيوخ عين ماضي له كالشيخ سي محمد

[1] الأمير عبد القادر: هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى ....يعود نسبه إلى الحسن والحسين أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم، قاد مقاومة عظيمة ضد الإحتلال الفرنسي، ينظر: محفوظ قداش، الأمير عبد القادر، د ط ، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2002، ص، 10.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال ...،المرجع السابق، ص،93.

[3] زينينة: إحدى المدن التابعة لولاية الجلفة تعرف حاليا بالإدريسية، ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال ، نفس المرجع، ص، 93.

[4] علالي محمود، المرجع السابق، ص، 38.

[5] الحاج العربي: هو من أولاد سرغين و ينحدر من سلالة الولي الصالح سي الحاج عيسى، ينظر: إبراهيم مياسي، روح الأمير...، المرجع السابق، ص، 159.

[6] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مأثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، سيرته السيفية ، ط1، المطبعة التيجانية، عزوزي وحاويش، الإسكندرية، سنة 1903م، ص، 196.

[7] علالي محمود، المرجع نفسه، ص، 39.

الصغير[1]، وأعلمهم بحكمه الشرعي وطلب منهم المساعدة والطاعة والمؤازرة لأن البلاد تعيش مرحلة صعبة بسبب الاحتلال الأجنبي الغريب عن البلاد لهذا يجب توحيد صفوف وجمع الشمل للوقوف كرجل واحد في وجه العدو والمشترك وتمت مبايعة الحاج العربي في الضفة اليمنى لوادي إمزي بين رأس العيون والبساتين.[2]

أما الأحلاف فقد رفضوا الاعتراف به، إلا أنهم بعد الضغط الممارس عليهم استسلموا لأمر الواقع وبذلك أصبح موقف أحمد بن سالم حرجا وفضل الانسحاب عند صهره ابن الناصر بن شهرة قائد الأرباع وبعد شعوره بالخطر قرر الابتعاد أكثر لسلامته فتحول إلى غرداية[3] ليحتمي بسكان بني يزقن بوادي ميزاب.[4]

وفي سنة 1838م عزم الأمير عبد القادر على تنظيم قوته لمواصلة الجهاد ضد فرنسا وذلك بجمع عدد كبير من الفرسان خاصة في جنوب الصحراء العظمى، في منطقة الأغواط أين يوجد بنو عراش المكونون من عشر قبائل قوية و كثيرة العدد، فقد ظلوا بعيدين عن النزاعات والمعارك التي خاضها سكان الشمال.[5]

[1] الشيخ سي محمد الصغير، الابن الأصغر لأحمد التيجاني، ولد سنة 1799م تميز بقوة الشخصية، ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، المرجع نفسه، ص، 135.

[2] إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر... المرجع السابق، ص، 115-116.

[3] غرداية: توجد جنوب الأغواط و على الحافة اليسرى من وادي ميزاب، و تسمى هذه المنطقة بالشبكة أو بلاد ميزاب تأسست خلال القرن 11، تعتبر من المدن التجارية للجزائر بواحاتها و سوقها الكبير النشيط، ينظر: ابراهيم محمد الساسي، المرجع السابق، ص، 37.

[4] شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر للغزو وبدايات الاستعمار 1827م-1871م تمت الترجمة بالمعهد الغربي العالي الجزائر، 2008م، ص، 659.

[5] شارل هنري تشرشل حياة الأمير عبد القادر، تروتق، الدكتور أبو القاسم سعد الله ، ط1، الدار التونسية للنشر، ماي 1974م، ص، 129.

كما أن الأمير عبد القادر دعاهم في الكثير من المرات ليرسلوا إليه الفرسان لكن بلا جدوى وذلك أن سي محمد الصغير التيجاني ومن وافقه من أغواط الغرابة امتنعوا عن أداء الطاعة وجهروا بالعصيان[1]، مغترين بالتحصينات والأسوار المتينة للمدينة التي فشل الأتراك في اختراقها.

إذن بعث الخليفة بخبره للأمير، ولما سمع هذا الأخير بذلك خشي من تأزم الحال وقرر السير وقمع الثائرين وتنكيلهم ليكونوا عبرة لغيرهم، حيث توجه إلى عين ماضي في 08 ربيع الأول 1254هـ الموافق لـ 12 جوان 1838م، على رأس جيش قوامه 6000 ستة آلاف من الخيالة و3000 ثلاثة آلاف من المشاة و03 ثلاث قطع حربية من المدافع و06 ستة مدافع هاون.

وبعد عشر أيام من السير الشاق في قفار رملية وصل الأمير وجيشه[2] عين ماضي وفوجئ التيجاني بالحصار الذي لم يكن مستعدا لمواجهته، ولم يكن له الوقت الكافي لغلق أبواب المدينة وتنظيم الستمائة عربي الذين كانوا في تلك اللحظة داخل السور[3]، ومنها مئة وستون من أولاد مسرقين تحت قيادة يحي بن سالم ومائة وسبعون من أولاد صالح (الأرباع) وسبعة عشر (17) من قرية غيشة وعشرون (20) من تاجموت واثنان وعشرون (22) من الحويتة، وخمسة عشر (15) آخرون من الأجانب كالزنوج واليهود وغيرهم.[4]

حاول التيجاني أن يربح بعض الوقت ليدافع عن البساتين بمناوشات أثناء الليل واستطاع بفضل معرفته للمواقع أن يعرقل تقدم الأمير، لكن محاولاته بائت بالفشل فقد طوقهم جيش الأمير عبد القادر وجعلهم محصورين داخل الأسوار بعد قطع الأشجار ونصب المواقع في أماكنها.

وبدأ إطلاق النار لفتح الثغرات لكن كلما فتحت ثغرة سدة أخرى وفي اليوم الخامس عشر (15) تحدى الأمير خصمه التيجاني وطلب منه الخروج ومبارزته أمام الجيشين اللذين يشهد أن هذا اللقاء،

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص، 196.

[2] شارل هنري، المصدر نفسه، ص، 129-130.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص، 196.

[4] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...،المرجع السابق، ص، 94-95.

واقترح عليه بأن نتيجة المبارزة ستحدد مصير عين ماضي، لكن التيجاني بالرغم من فتوته وقوته رفض اللقاء.[1]

إذن أمر الأمير وقتها بالحفر إلى السور ولكن التيجاني رد بالحفر من جانبه ووقعت عدة اشتباكات بينهم واستمر الحصار مدة تقرب ستة أشهر أجهدهم فيها الجوع وأضناهم الخوف والقلق[2]، وحرص الأمير على إحكام الحصار مدركا أهمية المسألة وعواقبها الوخيمة وذلك أنه إذا رفع الحصار واعترف بفشله فإن جميع المناطق الصحراوية ستفلت من قبضته وتتمرد عن سلطته وتصبح محل أطماع الاستعمار الفرنسي لذلك أعلن أنه يفضل الموت على أن يترك هذا الأمر ويتراجع ويفك الحصار.[3]

وفي هذه الأثناء كانت السلطة الفرنسية تراقب ما يجري واغتنمت الفرصة لتلين موقف الأمير تجاه معاهدة تافنة[4]، وذلك بإهدائه ثلاث مدافع مع ذخيرتين ليقضي على خصمه وبذلك تكون فرنسا قد ضربت عصفورين بحجر واحد، وهما :

- **أولا :** تنازل الأمير عن بعض بنود معاهدة تافنة من جهة.

- **وثانيا:** القضاء على مرابط قوي يمكن أن يكون لهم خصما عنيدا وثائرا مقداما في المستقبل من جهة أخرى.[5]

كل هذه الأحداث أجبرت التيجاني على الاستسلام في 19 نوفمبر 1838م وبعث إلى السيد الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الأمير يطلب منه تمهيله أربعين يوما فعرض الخليفة ذلك على الأمير فأجابه على شروط:

---

[1] نفسه، ص،94-95.

[2] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص، 130-131.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص، 196

[4] معاهدة تافنة: تم التوقيع عليها سنة 20ماي 1837م بين الأمير عبد القادر و الجنيرال بيجو، كانت كنتيجة للتفاوض الدي جرى بينهما، احتوت هذه الإتفاقية على 15مادة معظمها كانت تصب لصالح فرنسا، اديب حرب، المرجع السابق، ص 35-36.

[5] إبراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص، 95.

- أن يدفع التيجاني مصاريف الحصار.

- أن يكون مجبورا على إخلاء المدينة في برهة أربعين يوما.

- أن يكون له الحق بأخذ جميع أمواله المنقولة بلا استثناء.

- لأهل المدينة حق بمرافقة التيجاني بأموالهم وأسلحتهم.

- أن يرفع الأمير الحصار عنهم ويرجع ثمانية أميال عن المدينة حتى تخلى.

- أن يكون ابن التيجاني عند الأمير رهينة إلى تمام المعاهدة.

قبل التيجاني الشروط المذكورة وأمضى عليها وأرسلها مع ابنه فأمنه الأمير وبعد انتهاء المدة خرج التيجاني مع أهله وجنوده وحشوده ولم يبق في الحصن إلا المستضعفون ولما لحق التيجاني بأغواط الغرابة، أمر الأمير عبد القادر جنوده بتسوية حصنها وأبراجها.[1]

ثم حث الأمير أهل الأغواط على الطاعة وقال لهم ... من سورة النساء قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [2] فأرسلت له قبيلتين من قبائل الأغواط المجاورين للحصن الزكاة والعشور .[3]

عاد الأمير عبد القادر إلى مدينة معسكر[4] ليستريح وبعد أسابيع جمع جيشا قوامه 5000 خمسة آلاف فارس وأمرهم أن يحمل كل واحد منهم على فرسه ما يكفيه من الزاد والشعير وأن يجتمعوا في سهل إغريس[5] ولم يكن أحد يعلم ما يراد به الأمير بذلك.

---

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...،المرجع السابق، ص، 95

[2] محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص، 196.

[3] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص، 133

[4] مدينة معسكر: من أهم المدن الغربية للجزائر كانت في القديم قرية بربرية صغيرة الى أن استحسن الباي مصطفى بوشلاغم مركزها و اتخذها قاعدة له، ينظر:أحمد توفيق المدني هذه هي الجزائر، المرجع السابق،ص،302.

[5] سهل أغريس: من السهول الداخلية لمرتفعات الجزائر، يشمل ثلاثة وحدات مختلفة: 1- السفوح الطويلة المحرجة لجبل سعيدة،2- السهل بحد ذاته، 3- مرتفعات معسكر الكلسية. ينظر: أديب حرب، المرجع السابق، ص، 22-23.

وعند اشتداد البرد وقبل غروب الشمس أقبل عليهم الأمير عبد القادر ممتطيا ظهر جواده وتوجه بهم نحو الشمال الغربي، ولما خيم الظلام أمرهم بإبقاء مصابيح أمام الجيش فجعلت في أسنة الرماح، فكانت ترسل أشعتها إلى الوراء فتقضي على الموكب كله.

بعد مدة من سير الأمير عبد القادر رفقة جنوده انعطف فجأة إلى جهة الشمال الشرقي، ومن خلال ذلك علم الجيش أن السير الأول كان للتمويه وواصلوا السير إلى منتصف الليل، ثم نزلوا على حافة جدول للاستراحة والأكل والشرب لمدة ثلاث ساعات ليواصلوا بعدها سيرهم إلى منتصف النهار، حيث توقف بهتة من الزمن ليطعموا الخيول، وبعدها استأنفوا الرحلة، واستمروا على هذا الحال أربعة أيام وأربعة ليال، وفي صباح اليوم الخامس انكشفت لهم منازل سكان الأغواط الذين أسروا على عدم الطاعة[1] وامتنعوا عن أداء الزكاة والعشور، كما كانت لهم علاقة مع الفرنسيين ضد الأمير، وكل هذا أثار غضب الأمير الذي قرر تأديبهم.

وفي الوقت الذي وصل فيه الأمير عبد القادر الأغواط كان الناس نيام ولم توقظهم من نعاسهم سوى صرخة عالية وطويلة تردد (عبد القادر عبد القادر) فاستيقظ الناس وهم في حالة رعب وفزع غير مدركين لما يحدث مندهشين حائرين من شدة الصدمة وبينما هم كذلك كان الأمير عبد القادر يصرخوا في فرسانه[2] «صونوا الحريم أما الرجال فأذيقهم كأس الوبال».

أحاط بهم الجنود من كل جهة واستاقوهم كقطعان الغنم إلى الأمير يتذللون إليه وأعطوه المواثيق والعهود على الطاعة وحسن السلوك فقبل الأمير بطاعتهم وأخذ منهم أربعة جمل وثلاثين ألف رأس غنم وهي ما تبق عندهم من زكاة خمس سنوات وكانوا بعد ذلك أشد القوم تمسكا بالأمير وأكملهم طاعة له.[3]

[1] محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص، 197-198-199.

[2] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص، 134.

[3] محمد عبد القادر، المصدر نفسه، ص، 199.

بعد ذلك رجع الأمير عبد القادر إلى التل ليواصل جهاده ضد الاستعمار الفرنسي وترك خليفته الحاج العربي لكن هذا الأخير لم يصمد طويلا خاصة بعد تحالف الشيخ التيجاني مع أحمد بن سالم وقد أدى إلى فرار الحاج العربي بن عيسى مما جعل الأمير يعوضه بشخصية أخرى وهو السيد قدور بن عبد الباقي ودعمه بقوة جديدة تقدر بسبعمائة رجل معززين بقطعة مدفعية، لكن هذا الخليفة الجديد لم يقبل من طرف الجميع، إلا أنه استطاع الدخول للمدينة والسيطرة على سكانها.[1]

في سنة 1839م أمر الأمير الخليفة الجديد بأن يعدم أعيان الأغواط وذلك بعد نقض الوعود التي قطعوها معه وعدم امتثالهم لأوامره، واستدعى في البداية كل من أحمد بن سالم ويحي بن معمر لأنهما أصرا على عصيان الأمير وعدم المبالاة لأوامره، وكان يعيلهم بالجديد الواحد تلو الآخر بمجرد وصولهم.

ولما علم بني الأغواط بذلك انفجروا كالبركان الهائج المدمر في مظاهرات صاخبة، وقتلوا كل الجنود الذين اعترضوا طريقهم وفر الباقون، أما الخليفة فأسرع لإطلاق سراح المعتقلين ليخفف من غضبهم ولولا مساعديه كل من الأغا الجديد من أولاد شايب و الخروبي من أولاد خليف لهلك هو أيضا.[2]

بذلك تمكن بنو الأغواط من الاستيلاء على ذخائر الخليفة كالمدافع والأسلحة ونظر الانشغال الأمير عبد القادر بالحرب ضد العدو الفرنسي لم يهتم لما يحدث ولم يعين خليفة آخر على الأغواط وبقي المنصب شاغرا ثم أسندت الخلافة مرة أخرى إلى الحاج العربي الذي لم يطل حكمه نتيجة تحالف التيجاني وأحمد بن سالم مع الفرنسيين ضده.

وفي سنة 1840م دارت مناوشات بين الطرفين انتهت بانهزام الخليفة الحاج العربي الذي قضي عليه نهائيا في سنة 1842م وقتل في مكان آخر سنة 1843م ليصبح بذلك أحمد بن سالم الزعيم الأول في الأغواط بعدم تحالف مع السلطات الفرنسية لحماية نفسه من الأمير عبد القادر، ولم تفوت فرنسا ذلك

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق ، ص، 134.

[2] إبراهيم مياسي، من قضايا ...، المرجع السابق ،ص 121.

وقبلت تحالفه مظهرة نفسها الصديق الذي يعتمد عليه وذلك حتى تحقق هدفها في توسيع مناطق نفوذها.[1]

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1830م-1900م، ج1،ب ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص،225.

الفصل الأول

ابن الناصر بن شهرة قبل الثورة 1804-1850م

المبحث الأول: المرحلة الاستكشافية لمنطقة الأغواط

المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة الأغواط

المبحث الثالث: مولد ونشأة ابن ناصر بن شهرة

المبحث الأول: المرحلة الاستكشافية لمنطقة الأغواط:

إن اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري قد ظهر قبل القرن 20 م، وحتى تحقق فرنسا مبتغاها نحو الجنوب سيطرت على الشمال الجزائري، الذي دام حوالي 20 سنة، منذ دخولها سنة 1830م إلى غاية 1850م، لتنتقل بعدها نحو الجنوب الجزائري[1]، والذي كان حافزا ودافعا للفرنسيين لينشطوا أكثر في التوسع نحو الصحراء الجزائرية هو النشاط الذي قام به الإنجليز في إفريقيا.[2]

ويظهر لنا ذلك من خلال الرحلات الاستكشافية التي قام بها الأوربيون،و استفاد منها الضباط الفرنسيون في معرفة أحوال الصحراء وحملاتهم التوسعية التي قادها العديد من المكتشفين، نذكر من بينهم الضابط لابي Labie الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية وكانت هذه الخريطة أحسن أداة للتوسع الفرنسي في الصحراء.[3]

فكرت فرنسا في المنطقة التي تتوغل منها وتكون كهمزة وصل بين الجنوب الوهراني والجنوب القسنطيني، وتكون كمفتاح لبابها التوسعي نحو الجنوب الجزائري، فكانت منطقة الأغواط في المنطلق الأفضل لتوسعها، باعتبارها تتوسط الجزائر ولها علاقات تواصلية بين المناطق والقبائل الجزائرية.[4]

بدأ تطبيق تلك الفكرة برحلة الجنرال ماري مونج Marey Monge هو قائد الشعبة العسكرية لمدينة الأغواط، والذي قام بجولة استكشافية عن منطقة الأغواط في شهر مارس 1844م مع طابور قوي يتألف من 1500 جندي[5]، وفور سماع أحمد ابن سالم خبر وصول القوات إلى قصر زكار أرسل أخيه إلى القائد

---

[1] بن زاوي مصطفى، المكشوف الأوروبيون للصحراء الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 11، جامعة وهران، 2004م، ص، 337.

[2] احمد باي، مذكرة أحمد باي وحمدان وبوضربة، ،تر،محمد العربي الزبيري، ب ط، ب د، 1937، ص، 77.

[3] محمد بن محمد، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2003م، ص، 165.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، 657.

[5] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 122.

الفرنسي ليقدم له الولاء والطاعة حتى يمنحه منصب الخليفة على الأغواط ويكون الممثل الفرنسي عليها بقصورها الخمسة.[1]

حينما تفطن الجنرال بهذا الأمر قام بكتابة تقرير أرسله مع يحي بن معمر الحاكم العام Bugeaud، والذي كاتب بدوره الماريشال سولت Soult وزير الحرب بباريس[2]، وجاء في التقرير: «فضلا عن ما تقدم لنا من ثروات فإن المناطق الأهلية في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا، كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه عبد القادر ... وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاقا واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية، وتعمل على حرمان عبد القادر من مصادره في هذه الأماكن».[3]

وافق الحاكم الفرنسي على هذا القرار، وأمر باتخاذ كل الإجراءات اللازمة للتحضير إلى بعثة عسكرية استكشافية إلى الأغواط، تضمنت 1700 جندي منهم مئة وأربعين من قناصة إفريقيا، أوكلت قيادتها إلى الجنرال ماري مونج يوم 12-04-1814م[4].

في اليوم الأول من شهر ماي انطلقت البعثة من المدية ووصلت يوم 14 ماي إلى بلدة طاقين ومنها إلى تاجموت حيث قام أحمد بن سالم باستقبالهم مع أعيان الأغواط وكان ذلك يوم 21 من نفس الشهر.

لم يرغب باستقبالهم الشيخ التيجاني، ولكنه أرسل من يمثل ولاءه للجنرال فيما بعد عرفت السلطات الفرنسية مكانة الشيخ التيجاني لدى الأهالي باعتباره صاحب نفوذ وشخصية دينية وكلمته مسموعة لدى القبائل، لهذا سلطت فرنسا أنظارها عليه حتى يكون في الواجهة أمام القبائل التي رفضت الخضوع لها.

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص، 101.
[2] إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص، 124.
[3] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص، 123.
[4] إبراهيم مياسي، من روح الأمير...، المرجع نفسه، ص، 124.

قامت فرنسا بمسايرة هذه الشخصية وذلك حتى لا ينزعج، واستغلت عداوته مع الأمير عبد القادر وعدو العدو صديق – وأرسلت العقيد سانت آرنوا Saint ArNaud مع جماعة من الضباط للإطلاع على عين ماضي، وجمع الضرائب التي فرضت على الأهالي، وذلك بعد موافقة مع الشيخ التيجاني الذي أقنعه العقيد بذلك، حيث رجع هذا الأخير مسرورا إلى قائده الجنرال ماري مونج، الذي بدوره أعاد للتيجاني ما دفعه من ضرائب كعربون تحالف ومحبة.[1]

في اليوم 23 ماي انتقل الطابور الفرنسي من الحويطة إلى الأغواط وبقي بها يومان 26 و27 وفي اليوم الثالث رحل إلى قصر الحيران[2]، ورافقهم في هذه الجولة أحمد بن سالم.

بعد انتهاء ماري مونج من جولته الاستكشافية كتب تقرير للسلطات العليا، كان مضمونه هو تأييد أحمد بن سالم وجعله خليفة على الأغواط، لأنه قادر على تمثيل النفوذ الفرنسي، وبسطه على كل المنطقة، والمهم من ذلك عداوته مع الأمير عبد القادر.

اقترح ماري مونج في تقريره هذا مبلغ 18 فرنك كمرتب لأحمد بن سالم، و2500 فرنك لكل أغا معين معه، وتجنيد 20 فارس، و200 جندي من المشاة، حتى يصبح أهم وأقوى قادة الجنوب بالإضافة إلى 1200 جندي و05 آلاف فارس وقطعة مدفعية كمساعدة عسكرية له، وفي آخر التقرير أكد على فرض السيطرة التامة على الأغواط، وجعلها مركزا إداريا وتجاريا وسياسيا وعسكريا وقطع كل الاتصالات التي تربطها بشرق البلاد وغربها إلا أن هذا المشروع تأخر في تنفيذه، واكتفت السلطات بما طالب به

[1] علالي محمود، الحركة الإصلاحية، المرجع السابق، ص، 46.

[2] قصر الحيران: جمع حير، والحير عن أهل الصحراء هو ابن الجمل الصغير، والقصر هذا هو الآن بلدية في هذه الجهة كانت تربي وتجمع فيها الحيران الصغيرة حتى تنمو وتكبر، ينظر:محمد بن عمر، دور الزوايا إبان المقاومة و الثورة التحريرية، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني، منشورات وزارة المجاهدين ، 2007، ص، 64.

ماري مونج في تقريره، وذلك بسبب الظروف التي كانت تمر بها فرنسا[1]، بالإضافة إلىالمواجهة المغربية التي حدثت في معركة إيسلي سنة 1844م.[2]

وبعد مرور سنتين انحصر نفوذ أحمد بن سالم على منطقة الأغواط بإقليمه الجنوبي منعزلا عن القوات الفرنسية بالشمال، حيث راح سي الشريف بلحرش مستغلا ذلك لكسب تأييد أولاد نايل إلى جانب الأمير عبد القادر.

وفي شهر فيفري 1847م لعب الجنرال ماري مونج دورا بارزا في إخماد ثورة سي موسى[3] بوحمار التي كادت أن تصل إلى المدية، وهو زعيم الطريق الدرقاوية المنتشرة بين الأغواط وأولاد نايل إلا أنه تمكن من الهروب إلى متليلي.[4]

المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة الأغواط:

تأثرت الحياة السياسية في الجزائر بالعوامل الخارجية التي وقعت بفرنسا سنة 1848م، والتي تميزت بعزل الملك الفرنسي لويس فيليب من منصبه، والإطاحة بنظامه الملكي، وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية، كما انجر عن ذلك من أحداث واضطرابات عديدة منها، عزل الحاكم العام للجزائر الدوق دومال ابن الملك لويس فيليب، وتعويضه بالجنرال كافانياك Cavaignac يوم 03 مارس 1848م.[5]

---

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص، 103-104.

[2] معركة ايسلي:وقعت يوم 14اوت1844م بين الأمير عبد القادر و السلطات الفرنسية بسبب قضية الحدود و دعم السلطات المغربية للأمير عبد القادر، ينظر: أديب حرب، المرجع السابق، ص، 413.

[3] سي موسى بوحمار: هو سي موسى بن حسن المصري ولد بمصر عرج الى الجزائر و إلتقى بسي محمد بن حمزة قائد الطريقة الشاذلية، في سنة 1829م وصل سي موسى الى الأغواط و كسب الكثير من المردين، أسس زاوية ببلدة مسعد و في 1845م واجه الأمير عبد القادر و دخل معه في حرب ضروس قرب جبل موزاية، انهزم في هذه المواجهة و عاد الى الأغواط أين واجه الوجود الفرنسي، ينظر: إبراهيم مياسي، روح الأمير....الرجع السابق، ص، 161.

[4] إبراهيم مياسي، الإحتلال....المرجع السابق، ص، 105.

[5] جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الإستعمار،ج 3 ، ب.ط، دار النهضة العربية ،بيروت، 1981، ص، 190.

ومما زاد الطين بلة هو تدعيم ماري مونج Marey Monge لسياسة فرق تسد والحقيقة أن مبدأ هذه السياسة التي اعتمدت عليها الإستراتيجية الفرنسية يهدف إلى تحطيم النظام الاجتماعي وتكسير العلاقات العائلية، وبهذا تكون مهمة إقامة نظام جديد مكان هذا النظام المحطم أمر يسير وقد صرح أحد الضباط الفرنسيين قائلا: «إن من سهل في انتهاج هذه السياسة المتمثلة في تقديم الدعم لشيوخ المعارضة، هو روح العداوة المتأصلة منذ غابر الأزمنة بين تلك العائلات الإقطاعية، وكذا الكراهية المتبادلة بين هذه العائلات فالشعار السيادي لم يفرضه منطق الاحتلال بقدر ما كرسته العداوات التقليدية السائدة في المجتمع الأهلي».

والأهداف الحقيقية لإتباع فرنسا هذه السياسة هي إحداث القطيعة بين القبائل وبين الثورات الشعبية وذلك من أجل التخلص من الزعامات الوطنية لأنها تشكل خطرا على التواجد الاستعماري،[1] وهذا ما سعت إليه فرنسا في منطقة الأغواط، والتي أدت إلى اضطرابات خطيرة بالجنوب، أهمها الانشقاق الذي حصل بين بن شهرة وأحمد بن سالم.

تزامنت هذه الأحداث مع ثورة الزعاطشة[2] التي وقعت سنة 1849م والتي كان زعيمها الشيخ بوزيان، لذلك عزمت السلطات الفرنسية على القضاء عليها حتى تتفرغ لقضية الأغواط، والتي قدم أحمد بن سالم خليفتها تقريرا مفصلا عنها – الأغواط- للسلطات الفرنسية وكذا عن بداية قيام الثورة في الجنوب وتم ذلك في شهر أفريل 1851م وفورا أعطت الأوامر بتشكيل حملة عسكرية من المدية تحت قيادة الجنرال لادميرول La Dmirault كان ذلك في ماي 1851م.

[1] شهر زاد شلبي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن 19 م، شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف علي أجقو، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008م-2009م، ص، 138.

[2] ثورة الزعاطشة: اندلعت بواحة الزعاطشة بمنطقة الزيبان الظهراوي على بعد 35 كلم من جنوب غرب بسكرة، وكان زعيمها البارز الشيخ الزيبان المنصوف بوزيان، مقدم الطريقة الدرقاوية بالمنطقة، عمل تحت إمرة الأمير عبد القادر كشيخ على سكان الزاب الظهراوي مدة من الزمن كانت انتفاضتها على الصعيد العسكري والسياسي، انطوت تحت لواءه جميع قبائل الأوراس، ينظر: عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837م-1939م)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص، 143.

وصل الطابور يوم 03 جوان 1851م إلى الجلفة، واستدعى القائد لادميرول جميع شيوخ القبائل منهم أحمد بن سالم، والآغاسي الشريف بلحرش لتدارس الموقف وبهذا الإجماع الذي قاموا به ظهر ميل القائد لادميرول La Dmirault إلى ابن ناصر بن شهرة ورغبته في تعيينه خليفة على الأغواط، بدلا من أحمد بن سالم.[1]

إلا أن الوالي العام لم ينس فضل أحمد بن سالم تجاه فرنسا وإخلاصه لها، لذلك ثبته في منصبه، وبقي التنافس متواصلا بينه وبين بن ناصر بن شهرة على ذات المنصب، وفي صيف 1851م ذهب الناصر بن شهرة لشراء الحبوب من التل كعادة الأرباع والقبائل الأخرى، في هذه الأثناء قام الجنرال لادميرول بزرع فكرة تقديم شكوى إلى العقيد دوريو Durrieu المدير العام للشؤون السياسية بالجزائر، عن خليفة الأغواط وإدارته البالية لعلة يعوضه بمكانه ويصبح بن شهرة خليفة على الأغواط.

ولما علم أحمد بن سالم بذهاب بن ناصر بن شهرة إلى التل أسرع باللحاق به لإفشاء ما يسعى إليه، غير أن بن ناصر بن شهرة كان يملك عقل يتميز بالفطانة والذكاء مما جعله متيقنا من عدم جدوى الفرنسيين من ذلك، فاشترى ما ذهب لأجله، ورجع وهو يكن العداوة والغضب وأصر على حمل لواء الثورة ضدهم[2]، وتمرد عليهم فاعتقلوه سنة 1851م، ووضعوه مع عدد من زعماء الأرباع في إقامة جبرية[3] بمعسكر قرب بوغار.[4]

غادر بن ناصر بن شهرة إقامته الجبرية متخفيا بعد أن سئم حياة الإذلال والخضوع واتجه إلى الشهبونية، فلحقه في الحين الملازم كروس Carrus باعتباره صديق الأرباع بأمر من الجنرال لادميرول،

---

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ....، المرجع السابق، ص، 105.

[2] إبراهيم مياسي، روح الأمير....، المرجع السابق، ص، 129.

[3] بوعتو بشير: التصوف في الجزائر، دراسة وصفية تحليلية للطرق الحسبية والجبرية والرحمانية والأويسة، ب ط، دار السبيل للنشر والتوزيع، ب س ،ص،544.

[4] بوغار: معسكر فرنسي تابع الى المدية، يقع في الطريق الرابط بين الجزائر و الأغواط ويبعد عن البرواقية ب 34كلم، ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896)،مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف بن نعمية عبد المجيد، وهران، 2004-2005، ص،52.

كذلك لأنه كان على دراية مسبقة بالصحراء بصفة تمدرسه في مدرسة الأمير مدة طويلة، مع ثلاثين صبايحيا من المدية لإقناع بن شهرة بالرجوع عن ما صدر عنه تجاه فرنسا.[1]

غير أن الناصر بن شهرة لقنهم درسا وكانت أول تجربة له في كفاحه الثوري، فقد اعتقلهم وانتزع منهم أسلحتهم وثيابهم، ثم أرسلهم إلى رؤسائهم ليبلغوهم على لسانه بأنه لا يطيع بعد ذلك السلطة الفرنسية ولن يقبلهم، وسيتحقق السلطة الحقيقية التي تمثل الدين والاستقلال، ويعني بذلك الدفاع عن الدين والوطن وذلك بتحالفه مع المجاهد الشريف محمد بن عبد الله.[2]

المبحث الثالث: مولد ونشأة ابن ناصر بن شهرة:

عرف تاريخ المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بروز عدة شخصيات قوية ذات زعامة دينية ونفوذ سياسي كان لها الفضل في التصدي للاستعمار الفرنسي الذي عمل على توسيع مناطق نفوذه مستخدما أبشع الطرق والأساليب ضد الشعب الجزائري الصامد، الذي لم يستسلم له ولم تحطم عزيمته وروحه الوطنية تلك الجرائم المرتكبة في حقه، وكانت لا تخمد مقاومة إلا وتظهر أخرى لتأكيد غيرة الشعب الجزائري ورفضه للاستعمار والاستمرارية المقاومة الشعبية.

ومن المقاومات الكبرى التي واجهت الاحتلال المقاومة التي وقعت في الصحراء بأبطالها العظماء على رأسهم الناصر بن شهرة ملاح الرمال البطل المقدام الذي رغم نضاله وجهاده المجيد الذي دام ما يقارب 25 سنة إلا أنه لا يعرف عنه إلا القليل ولم يكتب عنه بشكل كبير حتى أن أبناء منطقته يجهلون عنه الكثير، بل البعض منهم لا يعرف عنه إلا الاسم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل كما قال أحمد أبي زيد قصبة على الحقد الاستعماري الكبير وسعيه لمحو الشخصية الوطنية وروح المقاومة والنضال في نفوس الجزائريين، فقد كانوا يهددون كل من يتكلم عن المجاهدين بالقتل في حين نجد بعض الكتابات الفرنسية ذكر ته في كتاباتها.

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر القرنين 19 و 20، ج3، ط2، الجزائر، د س، ص،219.
[2] محمد بن عمر، المرجع السابق، ص، 64.

المولد والنشأة:

الاسم ابن الناصر بن شهرة ابن فرحات ينحدر من قبيلة المعامرة[1] والحجاج الذين ينتمون إلى الأرباع الحرازلية أو أولاد حرز الله المعروفين بالمعمرة، وهو من عائلة شريفة آتية من الساقية الحمراء جنوب الأطلس الصغير على الأطلس الكبير[2] منذ القرن الخامس عشر.

ولد بالأرباع بقرية المخرق جنوب مدينة الأغواط بحوالي ثمانية كلم عام 1804م[3] تعلم في مسقط رأسه القرآن الكريم وحفظه في صغره ولما كبر بعض الشيء تعلم مبادئ الفقه على مشايخ الطريقة القادرية[4] وارتبط بشيخها أحمد الشاوي بالأغواط وهذا ما جعله خصما وعدوا للطريقة التيجانية[5] وأتباعها.[6]

عرف بشخصيته المرموقة وشهامته التي ورثها عن عائلته المتميزة بمكانتها العالية ونفوذها القوي بين القبائل، مما جعلها في القيادة وعلى رأس المشيخية حيث توارث أفراد العائلة مشيخة الأرباع عبر أجيال[7]،

---

[1] أحمد بن أبي زيد قصيبة: ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1971م الأصالة، عدد 06 السنة الأولى جانفي 1971م، ط1، الجزائر، 2012م، ص، 56.

[2] يحي بوعزيز، ثورات ....، المرجع السابق، ص،218.

[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي....، المرجع السابق، ص، 136.

[4] الطريقة القادرية: تنتسب إلى سيدي عبد القادر الكيلاني دفين ببغداد (561هـ-1166م) الملقب بسلطان الأولياء انتشرت في منطقة التل الوهراني خاصة بين القبائل العربية المعتبرة بأصولها تفرعت منها عدة طرق العساوية العمارية وكانت لها 33 زاوية خلال القرن 19 أهمها زاوية القطينة على وادي الحمام التي أسسها الحاج مصطفى بن مختار الغربي جد الأمير عبد القادر، وتولى أمرها والد الأمير الشيخ محي الدين وعدة يوخ بعده كان لها دور كبير خلال الاحتلال الفرنسي بالدعوى بالإصلاح، ينظر: نصر الدين سعيدوني عصر الأمير عبد القادر الجزائري، ط1، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري 2000، ص، 114 وسعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص، 120.

[5] الطريقة التيجانية: مؤسسها هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني ولد بعين ماضي وسط عائلة علمية، كانت منطقة عين ماضي ومنطقة أبي سمعون الواقعة جنوب البيض مركز للتيجانية وقد كانت لها زاوية بفاس عرفت انتشار واسع خلال الاحتلال الفرنسي، ينظر: مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف، تح: أحمد توفيق المدني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م، ط02، ص، 15، والعجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، 1881م-1939م، مجلد 02، ط1، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م، ص، 44-45.

[6] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989م، ج1، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

[7] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص، 136.

فقد كان الجد فرحات زعيم القبيلة ورئيسها وتلاه في ذلك ابنه بن شهرة وهذا ما أكسب العائلة التقدير والاحترام بين العشائر.[1]

وبفضل المكانة والكرم اللذان اشتهرت بهما العائلة رشح الابن الناصر لمنصب أغا على الأرباع خلفا لأبيه، كونه يتميز بمواصفات القيادة ودراسته بفنون الفروسية والقتال[2] التي اكتسبها من مدرسة الأمير عبد القادر الوطنية والحربية، حيث كان جنديا مخلصا في المدرسة، كما تعلم بها كل ما له علاقة بشؤون الحرب.[3]

وبما أنه نشأ في جو مملوء بالحياة العربية الفحطة بما يروي فيها من أخبار الفروسية والكر والفر والإقدام في الحرب والنزال كان خبيرا في الرماية ويصيب الهدف بكل سهولة سواء في ذلك من أمامه أو من خلفه ولا يخطئ أبدا متمسكا في ذلك بسيرة أسلافه شيوخ الأرباع وزعماء الصحراء.[4]

أما عن أوصافه البيولوجية يذكر من رأي شخصه وعرفه أنه كان أشقر اللون أحمر الشعر كثيف الحاجبين سريع الخطى يكتم مثل الأمير عبد القادر ويلبس الحائك من الصوف ويحتذي الحذاء الطويل وفي وقت الحرب يتلثم بلثامه[5]، كما عرف في الوسط الذي تربى فيه بصاحب البرنوس الأحمر.[6]

لقبه رين Louis Rinn بملاح الصحراء الحقيقي وهذا لمعرفته الشديدة بالمنطقة فقد أدهش العدو الفرنسي لدرايته الواسعة بدقائق الأرض الصحراوية[7] كما تميز بنفوذه السياسي وقوته العسكرية المتوارثة من من أجداده.

---

[1] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د ط، 1998م، ص،137.

[2] يحي بوعزيز، ثروات الجزائر ...، المرجع السابق، ص، 118.

[3] محمد بن عمر،المرجع السابق، ص، 63.

[4] إبراهيم مياسي،... المرجع نفسه، ص، 136.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج05، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، ص،182.

[6] محمد بن عمر، المرجع نفسه، ص، 62.

[7] عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليلي القاسمي، 1434هـ-2013م، ص، 880.

وفيما يخص حياته الشخصية، ونظر للصفات التي كان يتمتع بها من شهامة وكرم وجود ونفوذ سياسي وعسكري فقد كان مطمح الأسر الكبيرة والشخصيات البارزة للمصاهرة ومنهم أحمد بن سالم خليفة الأغواط[1]، آنذاك الذي زوجه ابنته الكريمة وكان أول زواج له، وأنجبت له بنتا[2]، ولما حل الاستعمار الفرنسي بنواحي الأغواط رفض بن ناصر بن شهرة البقاء تحت ظل المستعمر واختار لنفسه الصحراء مأوى لحمل السلاح.

وعنده عزم على الانتقال من بلدة لتنفيذ خطته والتصدي للعدو الفرنسي وأخذ يستعد للرحيل، طلب من زوجته مرافقته فامتنعت عن ذلك وبعد احتلال الأغواط خضع أبوها ابن سالم للاحتلال الفرنسي فزاد ذلك من غضب صهره بن الناصر بن شهرة وطلق ابنته كما توفيت ابنته منها فيما بعد.[3]

وأثناء جهاده في الصحراء ضد الاحتلال الغاشم سنة 1851م توجه إلى ورقلة ليتحالف مع سلطانها على الكفاح وليعزز قوته وهناك تزوج من إحدى بنات قبيلة المخادمة[4] المسماة الياقوت وأنجبت له ولدين ولدين هما: محمد، رجع من الشام، ووعدته فرنسا بمنصب قائد وشاع أنه قتل مسموما من طرف السلطات الفرنسية في ناحية قرية زينة والإدريسية الآن، ويقال أن السم وضع له في الشاي.

وثانيهما ابن الشهرة الذي لما رجع من الشام وسمع بالثورة السنوسية في طرابلس الغرب ضد الاحتلال الإيطالي، ذهب للجهاد وهناك استشهد رحمه الله في طرابلس سنة 1912م.[5]

---

[1] يروي أنه وصل لهذه المكانة بعدم تخلص من بن شهرة عندما عين قائدا على الأرباع وقتله في الفخ وأخفي بن ناصر بن شهرة، حقد على ابن سالم وبعد تعيينه آغا على الأرباع عام 1866م كان بن سالم خليفة في الجنوب ونشبت بينهما نزاعات انتهت بتخلي بن ناصر عن منصبه وتزعم الثورة، ينظر: يحي بوعزيز، ثورات ...،المرجع السابق، ص، 218.

[2] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق، ص، 137.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص، 137.

[4] المخادمة: هم فرع من سعيد عتبة جاؤوا من إفريقيا في حدود 1050هـ واسمهم مشتق من كلمة الخادم، وهم من الموالين لأولاد سيدي الشيخ، تميزت حياتهم بالترحال والتنقل الدائم للمراعي، يقطنون فصل الصيف والخريف، بواحات ورقلة، فاطمة حباش، المرجع السابق، ص35.

[5] أحمد بن أبي زيد قصيبة، المرجع السابق، ص، 57

وبعد وفاة الياقوت المخادمية تزوج ابن الناصر بالمرابطة نوة أخت السيد مولاي عبد القادر إدريسي التي أنجبت له ولدين أيضا هما:

- فرحات الذي توفي في الأغواط بعد رجوعه من الشام[1].
- والثاني يحي الذي توفي بالأغواط بعد أن رجع من الشام، وخلف أربعة أبناء ذكور وأربعة بنات.[2]

بعد التمعن في سيرته الزوجية في المرات الثلاث نجد أنها تندرج ضمن ما يسمى بالمصاهرة السياسية فأحمد بن سالم كانت مصاهرته لناصر بن شهرة لكسب قوة جديدة تتمكنه من السيطرة على المنطقة، لتكرار أهمية المصاهرة في النضال ضد الاستعمار من خلال زواجه الثاني والثالث وارتباطه أحد أهم أعيان القبائل ذات النفوذ الديني والسياسي ليثبت منطلق جهاده ضد الاستعمار وفعلا تمكن من خلال هذه المصاهرة من وضع أسس قوية كانت مصدر قوته للجهاد ضد الفرنسي[3] معتمدا على أقاربه وبنو عمه من قبيلة المعامرة والحجاج وأكثرهم من قبيلة الحرازلية الذين ناصروه كما وجد التأييد من الجنوب التونسي بصحراء الجريد[4].[5]

[1] إبراهيم مياسي، روح الأمير...، المرجع السابق، ص، 160.

[2] أحمد بن أبي يزيد، المرجع نفسه، ص، 57.

[3] حباش فاطمة ،بن ناصر بن شهرة زعيم الوحدة الوطنية جنوبا 1851-1857م، عصور الجديدة، العدد 19-20 صيف – خريف، أكتوبر 1436هـ-1437هـ/ 2015م، ص، 298.

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن، المرجع السابق، ص219.

[5] الجريد: منطقة بالجنوب التونسي تشمل على أربع واحات توزر و نفطة الوديات والحمة تمتد أراضي هذه الواحات بين شط غرسه في الشمال وشط الجريد في الجنوب وهي عبارة عن غور يكاد يكون متصلا يبدأ من خليج قابس، وينتهي عند حدود الجزائر، لذا يقصدها أغلب الثوار، أنظر فاطمة حباش، ص، 28.

الفصل الثاني

تحالف ابن الناصر بن شهرة
مع الشريف محمد بن عبد الله 1851-1861م

المبحث الأول: مرحلة القوة والتوسع 1851- 1853

المبحث الثاني: مرحلة الضعف والتراجع 1853م-1861م.

المبحث الأول: مرحلة القوة و التوسع 1851- 1853

شهد الجنوب الجزائري في الخمس السنوات الأولى من حكم راندون[1] (1851م– 1858م) أشهر الثورات التي وقفت في وجه المخططات الاستعمارية الهادفة لاحتلال مشارف الصحراء، ولم تكد تأتي سنة 1850م-1851م، حتى اندلعت الثورة في أجزاء أخرى من الصحراء، من جير فيل غربا إلى واد سوف شرقا.

و لقد سبق للفرنسيين ان نصبوا خلفاء وقيادا في جير فيل و الاغواط و تسربوا إلى تيارت وبسكرة وتراسلوا مع حكام تقرت وغير ها. ونلاحظ أن ورقلة وميزاب و سوف كانت ما تزال خارج هذه الاتصالات، و من ثمة انطلقت الثورات ضد العدو، و من بينها ثورة الشريف محمد بن عبد الله[2].

تعد ثورة هذا الاخير واحدة من الثورات الجزائرية التي قامت خلال القرن19م ضد الاستعمار الفرنسي بالجنوب الجزائر، و هي الثورة قامت تحت الغطاء السياسي والديني للحركة السنوسية، والذي كان له دور فعال و مساعد لهذه الثورة هو ابن الناصر بن شهرة، بالإضافة إلى الجانب الديني الذي تزعمته المقاومة[3].

[1]-راندون ولد في غرونويل 25مارس1795، عين حاكم عام للجزائر 11ديسمبر1851 الى غاية اوت 1858، توفي في جانفي 1871 بجينيف ، قاد حملات كثيرة ضد القبائل الثائرة في كل من القبائل و الاغواط ، ينظر: فاطمة حباش، سي الاعلى...ن المرجع السابق، ص، 62.

[2]-ابو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص، 35.

[3]-عبد القادر شرشال، دور الحركة السنوسية في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله. الملتقى 1و2، جامعة وهران، 2013، ص، 157.

1-نبذة عن حياة الشريف محمد بن عبد الله.

ينتمي محمد بن عبد الله إلى اولاد سيدي احمد بن يوسف، فرع أهل روسل قرب عين تموشنت، كان سنة 1840م رجلا خاملا لا سمعة له تذكر، توجه بعائلته إلى تلمسان و اشتغل معلما للقران الكريم في زاوية سيدي يعقوب[1].

يذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية في جزئه الاول ان الشريف محمد اسمه الحقيقي هو ابراهيم بن ابي فارس عبد العزيز و كان يضاف له كلمة المدني لتوقيعه الرسمي، و ذلك إشارة إلى المدينة المنورة[2].

كان والده يتمتع بشخصية دينية، و له عدة زوايا لنشر الطريقة القادرية التي كان من اتباعها :زاوية بنور بالشلاطة "تيارت"، زاوية بلحول بواد سيدي الخير "مستغانم"، زاوية الشط "ورقلة"، زاوية بني إبرهيم "ورقلة، و له العديد من الاتباع نذكر منهم: عرش الحرازلية، الارباع، بني الأغواط اولاد سيدي عطا الله متليلي المنيعة و كذلك كان اه اتباع في ورقلة أهمهم: المخادمة، بني ثور، اهل نقوسة و غير[3].

أما امه فهي شعانبية من أولاد فردية نواحي ورقلة، و لعل هذا ما يفسر إندلاع ثورته من ورقلة قبل غيرها، حيث انه وجد الدعم من اخواله الشعانبة.

إشتهر الشريف محمد بن عبد الله بين الناس بالتقوى و الورع الديني، الذي كسبه من وراء والده و كذا مساندة أخواله له، و عليه يمكن القول انه و إلى غاية 1840م لم يتمتع بشهرة سياسية

[1]-يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص ،101.

[2]-ابو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص، 357 .

[3]-قرنابي عيساوية، المقاومة في الجنوب، ثورة الشريف محمد بن عبد الله 1852م-1861م، شهادة الماستر في التاريخ، أشراف حباش فاطمة، تيارت، 2012 ص، 51.م-2013م، ص،14.

بين الناس لعدم تولية اي منصب من هذا النوع حيث اشتغل في مهنة التدريس، و تعليم الأطفال القران الكريم[1].

شيئا فشيئا بدا ظهور محمد بن عبد الله على مسرح الأحداث السياسية، الذي تزامن مع فترة الصراع المرير على تلمسان الذي عرفه الأمير عبد القادر مع جنرالات فرنسا المتعاقبة في إطار المقاومة الوطنية[2].

في هذه الأثناء و بظهور الشريف محمد كزعامة سياسية و دينية لها مكانة بين الناس قام الآغا روسل بإستمالته اليه حتى يكون معه في مواجهة الأمير بما أن هذا الاخير خصمه، ففي يوم 15ديسمبر1841م حصل لقاء بين الكولونيلتمبور حاكم وهران، ومولاي الشيخ علي، و محمد بن عبد الله و مصطفى بن اسماعيل و الخصم اللدود للأمير عبد القادر، و ذلك في بني عامر قرب عين تموشنت،و حصل الاتفاق بينهم على التعاون في محاربة الامير، و قام الفرنسيون بمنح لقب السلطان لمحمد بن عبد الله، و عينوه خليفة على سكان المنطقة الغربية، فعمل معهم ضد الأمير.[3]

لما زحف الجنرال بيدو على مدينة تلمسان في 14 جانفي1842م، كان محمد بن عبد الله ضمن قواته، فقام بتعيينه خليفة عليها، إلا أنه تعرض لمضايقات لم يكن يتوقعها، دفعته إلى تغيير موقفه وحمل لواء الثورة ضد الفرنسيين.

كان محمد بن عبد الله في بداية أمره قد لازم الاعتكاف في ضريح و مسجد العالم الأندلسي الشهير أبي مدين شعيب يحي العباد للتعبد وللاتصال بأنصاره وأتباعه لوضع خطة الخروج عن طاعة السلطات الفرنسية[4].

---

[1]-قرنابي عيساوية، المرجع السابق، ص،14.

[2]-الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية، تح: محمد صغير بناني وآخرون، ب ط، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص، 155.

[3]-يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص، 101.

[4]-الأمير محمد، تحفة الجزائر ...، المرجع السابق، ص، 264.

و في سنة 1844م قام محمد بن عبد الله بالذهاب إلى الحج و ذلك بأمر من السلطات الفرنسية، لأنهم غير مطمئنين في ولائه لهم، كما وجدوا كتابات على جدران مدينة تلمسان عبارة: "محمد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله و سلطه على رقاب الكافرين"، فغادر المدينة وهو غاضب بصحبة عائلته، و كاتبه سي محمد بن علي واتجه إلى وهران ومنها إلى الإسكندرية و من هناك اتجه إلى مكة و المدينة، وأدى فريضة الحج، و اتصل بعدد من الجزائريين المنفيين والمطرودين من الاستعمار الفرنسي.[1]

ظهرت دعوة ابن عبد الله سنة 1849م، لما كان شبه منفي بالبقاع المقدسة، و التقى هناك بمحمد بن علي السنوسي، فوثق صلاته به واشترك معه في تأسيس زاوية دينية اتخذت كملجأ للثوار، و لكل الجزائريين المهاجرين يجتمعون فيها لتدارس أوضاع البلاد وخصوصا منطقة الجنوب، و التفكير في الاستعداد للمقاومة و الأعداد لإعلان الثورة ضد الاستعمار الفرنسي[2].

في هذه الفترة كانت ورقلة تعيش صراعا شديدا نتيجة لتكتل سكان المنطقة من بدو وحضر إلى كتلتين: كتلة الغرابة الموالية لسلطنة ورقلة و تضم الشعابنة، والمخادمة، وبني ثور وبني سنيسن، وكتلة الشراقة الموالية لبني بابية و تضم قبائل سعيد عتبة، و بني و جين[3].

إن الظروف التي كانت تمر بها ورقلة، حتمت على الشريف محمد بن عبد الله من الدخول إلى الجزائر، حيث وصل إلى طرابلس الغرب أوائل سنة1850م، و منها إلى سوف عبر غدامس و تقرت، و استقر بزاوية الرويسات، و بقي طول سنة 1850م يراقب الأمور و يدرس الأوضاع التي تعيشها المنطقة. فقرر استغلال الوضع الراهن و البدء بعمله الثوري[4].

---

[1]-يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص، 152.

[2]-عبد الحميد زوزو، الوضع في منطقة ورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي، مجلة الاصالة، ع16، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، 2011م، ص،110.

[3]-قرنابي عيساوية، المقاومة في الجنوب...، المرجع السابق، ص، 29.

[4]-يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص،105.

وبفضل نشاطه الديني و رسائل محمد بن علي السنوسي إلى زعيم المخادمة عبد الله خالد الذي طلب منه ان يقف إلى جانب محمد بن عبد الله. أخذت سمعته تنتشر بين العامة، ونفوذه يزداد ويتوسع فشعر بنوع من القوة و الثقة بالنفس. فكانت ورقلة أول هدف وضعه نصب عينيه للاستيلاء عليها. فقد اتجه إليها مع زوجته مريم، و كاتبه محمد بن علي، و زعيم المخادمة بالإضافة إلى السيدة الفاضلة الحاجة الزهرة التي لم تتردد في استمالة الناس و إبلاغهم بان محمد بن عبد الله مبعوث من الله ليكون سلطان على البلاد و يحررها من الكافرين، و على هذه الجهود بايعه الورقليون سلطانا عليهم في شهر أوت 1851م.[1]

و بعد إحكام سلطته بدا حملته بمهاجمة المتعاونيين مع فرنسا، فتوجه إلى تقرت وسيطر عليها، و صادر أملاك الشيخ نقوسة، و انتقل أفرادها بعد ذلك آل الرويسات.

2- انضمام بن الناصر بن شهرة إلى ثورة الشريف محمد بن عبد الله .

ركز محمد بن عبد الله على منطقة الاغواط كوجهة ثانية بعد ورقلة و ذلك لتوسيع نطاق حركته، حيث اتصل به ابن الناصر بن شهرة طالبا منه الانضواء تحت حركته بعدما غادر هذا الأخير إقامته الجبرية يوم 5 سبتمبر 1851م، من أجل التنسيق و العمل المشترك.[2]

ازدادت سمعة محمد بن عبد الله و ابن الناصر بن شهرة في الانتشار بين القبائل الصحراوية، ومن بينهم بني ميزاب الذين لم يكتفوا بتزويد حركته بالجنود و المشاة فقط، بل أمدوه أيضا بالمؤن و الذخيرة رغم تهديدات الفرنسيين لهم، حيث منع راندون RANDON بيع الحبوب للميزابين في جميع أسواق التل.[3]

---

[1]- خليفي عبد القادر، من محطات تاريخ الجزائر المجاهدة، 1830-1962م، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2010، ص359.

[2]-أحمد بن أبي قصبة، المرجع السابق، ص، 186.

[3]-قرنابي عيساوية، المقاومة في الجنوب ...، المرجع السابق، ص، 39 .

تحرك القائد ابن الناصر بن شهرة في هذه الأثناء نحو ناحية الأغواط، و استولى على بلدة الحيران و قصرها، حيث كانت تتمركز به كتية من جيش الفرنسيين و فصيلة من الصبايحية، فاستطاع هزيمتهم بكل سهولة سنة 1851م، و بعدها بادر بتحصين قصر الحيران قصد اللجوء اليه وقت الحاجة،و حتى يسهل كيفية دخول محمد بن عبد الله إلى الاغواط[1]، و تمكن من الاستيلاء عليه في يوم 31 جويلية 1851م، و حصنه ليكون مركزا له في الاتصال بالسكان ودعوتهم لنصرة الشريف محمد بن عبد الله، وفعلا وفد عليه هناك اعيان من منطقة الاغواط ذوي سمعةو جاه كبيرين على رأسهم لسيد يحي بن معمر و الشريف بن الأحرش الذي كان خليفة للأمير عبد القادر، وأبدى سكان الأغواط عموما رغبة في التعاون معه،و هذا في حد ذاته انتصار لابن الناصر بن شهرة الذي توج عمله بقدوم الشريف في حملة من ورقلة قاصدا الاغواط، والتي تمكن من السيطرة عليها[2].

3-مشاركته في حملة الأغواط سنة 1852م.

و بفضل مساندة ابن الناصر بن شهرة لمحمد بن عبد الله سلطان ورقلة، كسب تأييد معظم القبائل الجزائرية الموالية له، و ذلك لمحاولته غزو منطقة الأغواط[3]، فتخوفت السلطات الفرنسية من هذه التحركات و على أثرها آمر الحاكم العام للجزائر راندون يوم 7 فيفري 1852م، الجنرال لادميرول ladmirault بتشكيل طابور متنقل فاستدعى كل الفرق العسكرية منها قوم التيطري والتل، و شكل منهم ألف و خمسمائة فارس 1500، انضموا إلى قوم أولاد نايل تحت قيادة سي الشريف بالأحرش، و في 22 فيفري تحرك الطابور المتكون من عدة سرايا كتائب إلى الأغواط، فوصلت إلى أسوارها يوم 4 مارس فاتصل بها الخليفة احمد بن سالم حيث تلقى التعليمات اللازمة لحراسة الأغواط، ثم واصلت هذه القوات العسكرية طريقها إلى قصر الحيران، الذي دخلته بدون

[1]-شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص، 675.

[2]-فاطمة حباش، بن الناصر بن شهرة زعيم الوحدة الوطنية جنوبا1851-1875م، عصور الجديدة، المرجع السابق، ص، 301.

[3]-أحمد بن ابي قصبة، المرجع السابق، ص، 168.

مقاومة تذكر[1]، فعمل الجنرال الفرنسي على تنظيم السلطة بها وترك فيها كتيبة من الجيش وفصيلة من الصبايحية، ثم قفل راجعا إلى الاغواط يوم 13 مارس 1852م، لتحضير جيشها، وذلك لشعوره بأن القبائل الصحراوية مستعدة لمواجهته[2]. فعمل على تجميع قواته بمدينة تيارت تحت قيادة الرائد ديليني حيث احتوى هذا الجيش على طابور قوي من كتيبة المشاة والسرية الثانية من الصبايحية وفرق من القوم، ثم توجهت هذه القوة إلى البيض لتنضم إلى قوات سي حمزة بن بوبكر، الذي خيم عند وادي زرقون في اتجاه وادي ميزاب مع أولاد سيدي الشيخ.

توجه محمد بن عبد الله مع ابن الناصر بن شهرة وقواته يوم 22 ماس 1852م إلى السير بمحاذاة نواحي الأغواط، التي احتلتها قوات طابور المدية، ليعاقب أولاد يعقوب قرب الماية، لأنهم رفضوا الانضمام إليه وبعدها توجه إلى وادي زرقون ونصب خيامه بالقرب من أولاد سيدي الشيخ[3]. إلا أن سي حمزة سمح لمحمد بن عبد الله بالتراجع والإنسحاب نحو الجنوب، وهنا يظهر تأييده لمحمد بن عبد الله لذلك أمره الرائد ديلنيي بأن يرتد يوم 5 أفريل، فامتثل لذلك سي حمزة أعلن خضوعه للفرنسيين، وحلال ذلك سلمثلاث رسائل إلى القائد الفرنسي ديلني، التي كان قد استلمها من محمد بن عبد الله من أجل إيصالها لأصحابها. فالرسالة الأولى موجهة إلى سي الشيخ بن الطيب الذي كان على رأس المهاجرين الصحراويين برأس العين لبني مطر، والثانية موجهة إلى سيدي محمد بالمكي هو من الشخصيات المؤثرة لدى قبيلة بني زناسن، أما الثالثة فكانت موجهة إلى سيدي محمد بن ملوك مقدم لسيدي محمد بن علي عند بلاط عطية، وعلى هذا الأساس قام القائد بيلسيه قائد أركان الفرقة العسكرية بوهران[4]بإلقاء القبض على سي حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ ووضعه، في السجن وعوضه بأخيه سي النعيمي[5].

[1]-إبراهيم مياسي، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج2، د ط، الجزائر، 2009، ص، 131..

[2]إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص، 122.

[3]إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص، 131.

[4]إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص، 111.

[5]نفسه، ص، 112.

قام الشريف محمد بن عبد الله بجمع قوة هائلة تفوق ألفين وثمانمائة 2800 رجل من عدة قبائل منهم[1]:الأرباع بقيادة بن الناصر ابن شهرة والحرازلية وأولاد سيدي عطا الله و قبائل سعيد عتبة ومخادمة ورقلة، وشعانبة متليلي، و قبيلة سعيد أولاد عمر بتماسين و أهل ميزاب فضلا عن انضمام أولاد جلاب، والذي أصبح يتولاهم سلمان بن جلاب الذي كان حليفا لمحمد بن عبد الله.

يمكن القول أن الاستعداد الذي قام به بن الناصر بن شهرة و محمد بن عبد الله، لتكوين مجموعة قوية من القبائل، حتمت على الضابط كولينيو Colinio قائد بسكرة، بجمع قواته هو أيضا من مختلف الفرق، و انضم إليه النقيب بآن Pein القائد الأعلى ببوسعادة، فالتقى الطرفان في معركة ضارية يوم 22 ماي 1852م جنوب وادي الجدي بجنوب مدينة بسكرة[2]، و خلفت العديد من القتلى و الجرحى كل الفريقين، و لكن النصر كان لصالح محمد بن عبد الله و بن الناصر بن شهرة و حلفائهم م تعتبر أول معركة له ضد الفرنسيين[3].

و جراء هذه الانتصارات قام راندون Randon بكتابة تقرير إلى السلطات الحربية بباريس يوم 5 سبتمبر 1852م يوضح فيه أهمية السيطرة على المنطقة، لتصبح الامتداد الجنوبي للاحتلال الفرنسي[4].

و في هذه الأثناء تحالف محمد بن عبد الله مع الآغا الأغواطي يحي بن معمر بن سالم في تلك الفترة وسارا معا في محاولة للسيطرة على الأغواط مركز أخيه الخليفة احمد بن سالم بسبب غضبه منه، و في يوم 15 سبتمبر 1852م وصلا إلى أسوارها لكن الجنرال يوسف انجدها وأبعدهما عنها.

[1] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق، ص، 120.
[2] منور العربي، ثورة القرن 19، ط1، الجزائر، 1989، ص، 246.
[3] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 212.
[4] شارل أندو ي جوليان، المرجع السابق، ص، 657.

و في يوم 4 أكتوبر 1852م التقى الجنرال يوسف بمحمد بن عبد الله و أتباعه ومعه ابن الناصر بن شهرة في مواجهة دامية في منطقة غدير وادي إمزي، قرب عين الرق،[1] سقط إثرها مائتي 200 قتيل فرنسي، و غنم محمد بن عبد الله و ابن الناصر بن شهرة أكثر من عشرين ألف رأس غنم، و ألفي جمل من أعوان السلطات الفرنسية توجه سي النعيمي إلى بلدة تاجرونه على رأس مائتي 200 فارس، و محمد بن عبد الله إلى بلدة قرار على رأس قوة هائلة تقدر بألفي و مائتي 2200 فارس، ليتوغل إلى جبال العمور شمالا عن طريق فجوة وادي ملاح لاستشارة أحدهما[2] .لهذا تراجع الجنيرال يوسف YUSUF إلى الجلفة عن طريق بلده مسعد، حيث قام بمصادرة أملاك يحي بن معمر وأنصاره كعقاب لهم، وفي اليوم الثالث من ديسمبر عملت القوات الفرنسية على احتلال المواقع الإستراتيجية كالتلال ومحاصرة المدينة من كل النواحي، والاستيلاء على سيدي عيسى الأغواطي من قبل الجنرال بوسكارين بأمر من المارشال بليسيه، و على إثر هذه المداهمة سقط أربعة قتلى من جانب الفرنسيين و كلهم ملازمين ذوي مكانة في الجيش الفرنسي[3].

و في صباح اليوم الرابع ديسمبر تقدم قائد العمليات الجنرال بليسيه مع طوابير الهجوم لتتمركز في مواقع حصينة، إلا أنهم تعرضوا إلى هجومات مباغتة و عنيفة من طرف ابن الناصر بن شهرة، الذي زعزع صفوف الجيش الفرنسي و حاول تحطيم مواقع المدفعية.

على هذا الأساس تلقى العسكر الفرنسي الأمر بالاقتحام فبدأوا يستولون على أحياء المدينة الواحدة تلوى الأخرى، ويحبطون كل محاولات المقاومة من طرف محمد بن عبد الله و ابن الناصر بن شهرة الذين قاتلوا ببسالة، فتحولت كل الأماكن إلى ميادين للقتال و امتلأت الشوارع بالجثث و القتلى و الجرحى و لم ينجوا منها الكثير من الثوار إلا من استطاعوا الانسحاب ليلا و منهم محمد بن عبد الله و بن الناصر بن شهرة ويحي بن معمر و التلي بن لكحل بعد أن تأكدوا من انه لا

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، المرجع السابق، ص، 155.

[2] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 215.

[3] بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في آخر القرن 19، تح: يحي بوعزيز، ج1، ط1، بيروت، 1990، ص، 257.

جدوى من المواجهة نظرا لعدم تكافؤ القوى كثرة الضحايا، ففتحت المدينة بعدما مات من أهلها نحوى ألف و نصف حسب المزاري.[1]

و طيلة ثمانية أيام كان يتم قتل كل الذين سلموا أنفسهم في شكل مجموعات تتألف من 12و15 شخص، ولقد اشتكى احد الجنود من أن السيوف قد تعطلت و أصبحت غير حادة، ظلت النسور و الغربان تحلق مدة شهر كامل فوق المدينة كأنها مقبرة جماعية.

أما على الصعيد السياسي فقد أرسل المارشال راندون برنامج إلى الجنرال مارغريت Marguerite القائد الأعلى لمدينة الأغواط يتضمن ما يلي:

1- إتمام السيطرة على المدينة.

2- جعل الأغواط مدينة كبيرة و تحويلها إلى مركز سياسي و تجاري من أجل استعمال المشاريع الإستعممارية.

3- تدعيم الثقافة الفرنسية محاولة بذلك فرنسة المنطقة.

4- تثبيت العلاقات مع أقصى جنوب الجزائر[2].

وللنهوض من جديد و لاستمرار كفاح محمد بن عبد الله ساانده ابن الناصر بن شهرة مع سي النعيمي بن بو بكر في 14 سبتمبر 1853م في محاولة لغزو الأغواط مرة أخرى، وفي طريقهما إليها هاجما أولاد طيفور واتجها إلى الماية والمتليلي عبر تاجرونة، و بعدها تفطن الفرنسيون لتلك التحركات، جندوا له قوات قدرت بحوالي ألفي رجل مدعمة بقوات القوم بقيادة قياد و اغوات، و لعب فيها الخليفة حمزة بن بوبكر من أولاد سيدي الشيخ دورا رئيسيا، حيث تقدم على رأس ألف فارس و ألف و مائتين من المشاة في أواخر سنة 1853م فاخضع بها قصر متليلي، منطقة و ادي ميزاب واستطاع دخول ورقلة و ذلك بعد انتصاره على محمد بن عبد الله و ابن الناصر بن

[1] نفسه، ص، 260.

[2] علالي محمود، المرجع السابق، ص، 55.

شهرة في مواجهات متفرقة في برزينة و الرويسات، آخرها في عرق بوسروال جنوب ورقلة، بذلك سيطر سي حمزة على ورقلة ودخلت تحت النفوذ الفرنسي و سميت أغوية ورقلة في 27 جانفي 1854م[1].

المبحث الثاني: مرحلة الضعف و التراجع 1853م-1861م.

بعد الانهزام الذي تعرض إليه كل من ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله بدأت قواهما في التراجع.

1-تراجع حركة محمد بن عبد الله ولجؤه مع ابن الناصر بن شهرة إلى تونس .

توقف نشاط محمد بن عبد الله مدة من الزمن و ذلك بعد خروجه من معركة الأغواط مع ابن الناصر بن شهرة، و في 1853م أعلن سليمان الجيلالي نفسه خليفة للشريف ورقلة ليعاونه في تجنيد أهل سوف كما طلب من باي تونس دعمه ضد الفرنسيين. لأن الحاكم العام للجزائر بدأ يخطط لعمل عسكري مباشر لاحتلال تقرت و سوف مستغلا ضعف وتراجع ابن الناصر بن شهرة و محمد بن عبد الله،[2]

على إثر هذه المعارك و الانهزامات لجأ محمد بن عبد الله و بن الناصر بن شهرة إلى الوادي فترة من الزمن ثم انسحبوا إلى نفطة و توزر بالجريد التونسي[3] حيث كان بن الناصر بن شهرة قد أصيب بجروح بليغة، ويذكر لنا يحي بوعزيز أن هذا الأخير وجه رسالة إلى باي تونس محمد باشا [4] يحيطه علما بدخوله الأراضي التونسية و يعلمه بأنه قد وجه أخاه سي النعيمي وبعض رفاقه لزيارته وطلب منه أن يستوصي به و برفاقه اللاجئين خيرا، ومما ذكره بن الناصر بن شهرة في رسالته

---

[1] يحي بوعزيز، نماذج من مقاومة سكان الواحات، مجلة الأصالة، ع41، السنة 06 جانفي1977، ص،126.

[2] إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للجزائر...، المرجع السابق، ص، 174.

[3] محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830م-19954م، تر: محمد المعراجي، ط خ،2008، ص، 56.

[4] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق، ص، 127

قوله:"...ونحن مهاجرين استوصى بنا ...خيرا...جميع الرعايا كأعراش الهامة، وغيرهم لأننا خارجين...من بلادنا في طاعة اللهو رسوله ولا يخصنا في بلادنا حرمة إلا من أجل الدين..."[1]

وخلال إقامة ابن الناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله بتونس متنوا علاقتهم بكثير من اللاجئين الجزائريين واخذوا يشنون غارات على الأعوان الفرنسيين إلى داخل الحدود الجزائرية التونسية و كثير ما كان يشارك في هذا العمل ثوارو لاجئون آخرون من بينهم محمد بوعلاق اليعقوبي،[2]

عاد الشريف محمد بن عبد الله مع ابن الناصر بن شهرة إلى الجزائر وذلك في سبتمبر 1854م، حيث اتجه بصحبة سلمان الجلابي إلى ورقلة، في محاولة من جديد لكنه فشل، فقد أحكمت القوات الفرنسية السيطرة عليها، وتعرض إلى مواجهة من طرف الجنود، فانسحبا إلى وادي غير مرة أخرى بعدما فقد محمد بن عبد اللهو ابن الناصر بن شهرة أغلب أنصارهما بورقلة، ولما سمعت القوات الفرنسية بعودة محمد بن عبد الله استعدت للقيام بعمليات عسكرية للهجوم على الإقليم الذي يأوي، لأنه حسب زعمهم هو ملجأ الثوار الذين يجب القضاء عليهم[3].

وعليه استنجد سلمان الجلابي باهل سوف وطلب منهم الإعانة والمؤازرة ضد الغزاة فالتفوا حوله[4]،ودخلت هذه الوحدات العسكرية بقيادة الشريف محمد بن عبد الله إلى مدينة توقرت يوم 28 نوفمبر، والتحمت مع بعض المجاهدين،وقدرت بأكثر من أربعمائة فارس و ألفين من المشاة ،في حين وصلت القوات الفرنسية إلى مئتين وخمسين جنديا نظاميا و ألفي و أربعمائة احتياطي يوم 26 نوفمبر إلى موقع المقارين وإلتقى الجيشان في معركة ضاربة يوم 29 نوفمبر، حيث قامت فرنسا باستدراج قوات المجاهدين من حصونها بتوقرت إلى ميدان المعركة فتقدمهم محمد بن عبد الله مع

[1] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص،526.

[2] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص، 128.

[3] قرنابي عيساوية، المرجع السابق، ص، 51.

[4] ابراهيم محمد السياسي العوامر ،المرجع السابق، ص:2013.

بن شهرة ومعهم سلمان على راس فرسانهم وكانت خطتهم تسريب المجاهدين المشاة تدريجيا إلى الأراضي المحيطة بالمكان المسمى بـ"كراع" مقارين وهو شريط طويل من النخيل يربط ما بين الواحات ،وحتى لا يتسنى لقوات العدو الولوج إلى القوى، وبذلك يتمكنوا من محاصرة مخيم القوات الفرنسية والهجوم الكاسح عليهم ،غير أن قائد الجيش الفرنسي تفطن لهذه الخطة وأعطى أمر بتشديد الحراسة ، ثم تقدم أفراد القوم مع سرايا الصبايحية لكتيبة القناصة الاحتياطيين إلى الأمام، وبمجرد ظهور فرسان الثوار حتى أسرع القائد الفرنسي بإرسال إليهم فرق القوم. إلا أنهم أرغموا على الرجوع[1].

شجع هذا محمد بن عبد الله وبن شهرة والمجاهدين معه على الإقدام والاندفاع جماعات لاحتلال المواقع الأمامية. والدخول إلى القرية وعلى اثر هذا اضطربت صفوف الجنود الفرنسيين لبضع دقائق، ثم استطاعوا السيطرة على قبة الوالي سيدي علي بن كنون، لأنها النقطة التي يحاول منها الثوار التوغل فاستطاعوا إيقاف المهاجمين عن طريق فرق القناصة و بدأت علامات النصر للفرنسيين. هذا ما جعل كل من سلمان بن جلاب و الشريف محمد بن عبد الله وبن شهرة يغادرون الميدان بكل سرعة تاركين وراءهم إتباعهم ولم يتمكن من الفرار إلا عدد قليل منهم[2].

اعتبرت السلطات الفرنسية هذه المعركة نصرا بإنهزامهما. فر محمد مع سلمان وبن شهرة إلى تماسين فاختفى بها أياما[3].ثم انتقلوا إلى سوف ،فنزلوا بمدينة الوادي. ومكثوا مدة من الزمن ومنها دخلوا إلى تونس ليستقروا في إقليم الجنوبي لها في نهاية ديسمبر 1854[4].

عمل محمد بن عبد الله وابن شهرة على تجنيد قواتهم وتحضير أنفسهم لتجديد العمل الثوري لهم.وذلك بفضل المدة التي قضوها في تونس ابتداء من 1854 إلى غاية 1858م والدليل على هذه

[1] ابراهيم مياسي، المرجع السابق،ص:175.

[2] قرنابي عيساوية، المقاومة في الجنوب الجزائري، ص:53.

[3] نفسه ،ص:53.

[4] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، المرجع السابق،ص:122.

التحضيرات هو ما ذكره قائد قسمة باتنة في 16 فيفري 1855م، للسلطات الفرنسية بمقاطعة قسنطينة، بان الشريف محمد بن عبد الله وسلمان وبن شهرة يبحثون عن أنصار جدد عند بدو الصحراء بجنوب نفزاوة، وان الشريف يقوم بمحاولات اتصال بقائد قابس ليستقر بتلك الجهة، وهذا الأخير وافق له على ذلك بشرط أن يتخلى عن دوره التحريضي للقبائل التونسية، إلا أن السلطات الفرنسية كانت تتعرض لمضايقات من طرف فرنسا بخصوص الغارات التي كانت تتعرض لها الفينةو الأخرى على الشريط الحدودي لها[1].

استغلت السلطات التونسية المناوشات التي كانت تحدث ضد الشريف محمد بن عبد الله، وباقي أتباعه والقبائل، وفرضت الأمن على المنطقة وعملت على حماية الحدود، كما وضع العسكريون خريطة أولية سنة 1857 لمعرفة مواقع تمركز العدو ولإيقاف المد المستمر بين سكان المنطقة [2].

ترك محمد بن عبد الله فراغا في الجنوب الشرقي من البلاد ،استغلته السلطات الفرنسية لإخضاع المناطق الصحراوية ،حيث تمكن سي حمزة بن بوبكر من استقدام جماعة من بلاد التوارق في مطلع سنة 1856. لأن السلطات الفرنسية كانت ترمي إلى تكوين دلاة لقوافلها المتجهة إلى تمبكتو، وكان الشيخ عمان شيخ قبيلة ايفوغاسهو من قام بقيادة قافلة فرنسية إلى غات ورجع بها إلى ورقلة في مارس 1858[3].

2-اعتقال محمد بن عبد الله:

مرت الصحراء الجزائرية بظروف قاسية خلال غياب محمد بن عبد الله وبن شهرة فكانت مسرح للأحداث الثورية والنزاعات السياسية، وحتى الاقتصادية ، حيث عاد إليها سنة 1858م

[1] عبد القادر شرشال، المرجع السابق، ص،178.

[2] ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق،ص:189.

[3] عبد الحميد زوزو ،الوضع في ورقلة قبل الإحتلال الفرنسي، مجلة الأصالة، العدد 16، 06 جانفي 1997، ص:115.

لإتمام نشاطه الثوري فاتجه إلى منطقة توات، ومن هناك إلى الأغواط في محاولة لاستعادتها[1]. الا انه لم يلق الدعم الكافي بالإضافة إلى فقدانه للكثير من أتباعه فبقي بدون نشاط ثوري يذكر و بدأت قواه تتراجع وتنهار. هذا الأخير الذي تولى الزعامة بعد وفاة والده في 1861 بلقب الباشاغا حيث كلفه الفرنسيون في سبتمبر 1861 بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله وبن شهرة الذي عاد للمقاومة وتجهز على راس قوة معتبرة، وصل بها إلى متليلي في سبتمبر 1861، وعند وصوله شرع أبو بكر بن حمزة في ملاحقته وتتبع أثار في الرمال الصحراوية مع أتباعه التوارق لتقوم في الأخير معركة طاحنة بين الطرفين اسحق فيها قوات محمد بن عبد الله و ابن شهر ة نظرا لعدم توازن القوى وحوصرت قواته وأصبحت تعاني الجوع والعطش الامر الذي دفعها للتخلي عنه وفي مقدمتها الشعانبة الذين استلموا وطلبوا الأمان[2].أما الشريف محمد بن عبد الله فلم يستسلم وبقي معتصما مع ابن شهرة في العرق حيث حاصرتهم قوات أبو بكر في العرق الغربي بين بوسروال وقرن الحاج، إلى أن تمكن من اعتقاله أواخر سنة 1861، وسلمه إلى السلطات الفرنسية التي حملته إلى وهران ومن هناك إلى جزيرة كورسيكا[3]. ولا ندري المدة التي قضاها في السجن لأنه بعد مدة ظهر في ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864، أما ابن الناصر بن شهرة فقد واصل نضاله الثوري بعد اعتقال الشريف محمد بن عبد الله وكان هو الأخر له دور مهم في ثورة أولاد سيدي الشيخ.

[1] يحي بوعزيز، الثورات الجزائر، المرجع السابق، ص:162.

[2] يحي بوعزيز، الثورات الجزائر، المرجع السابق، ص: 110.

[3] سعد الله ابو قاسم، الحركة الوطنية ،ج1 ،المرجع السابق،ص:362.

الفصل الثالث

مشاركة ابن ناصر بن شهرة
في ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1869م

المبحث الأول: أصل أولاد سيدي الشيخ ونفوذهم السياسي

المبحث الثاني: أهم العمليات العسكرية للناصر بن شهرة مع أولاد سيدي الشيخ

المبحث الأول: أصل أولاد سيدي الشيخ ونفوذهم السياسي :

بالرغم من الظروف الصعبة التي عاشها ابن الناصر بن شهرة خلال عقد الخمسينيات بدءا بسيطرة فرنسا على ورقلة سنة 1854م، واعتقال الشريف محمد بن عبد الله سنة 1861م،[1] على يد زعيم أولاد سيدي الشيخ أبو بكر[2] بن حمزة،[3] إلا أنه لم يوقف عجلة الكفاح ضد العدو، ولم يكبح جماح المقاومة، فقد ظهر حاملا لواء الجهاد في الصحراء، ولم تلن له قناة ولم يترك فرصة ضد العدو الفرنسي إلا واغتنمها، ينتقل كالبرق من شرق الصحراء إلى غربها ومن وسطها إلى جنوبها، فلم تكد تنتهي مقاومة الشريف محمد بن عبد الله حتى وجدنا ابن الناصر بن شهرة في الصفوف الأولى لثورة أولاد سيدي الشيخ.[4]

1- أصل أولاد سيدي الشيخ:

تنحدر أسرة أولاد سيدي الشيخ حسبما هو شائع من أسرة الخليفة أبو بكر الصديق عرف أجدادهم باسم البوبكرية، هاجروا من مكة في صدر الإسلام بعد الإضرابات الدينية التي كانت في تلك الفترة إلى مدينة الإسكندرية بمصر ومن هنا انتقلوا إلى تونس واستوطنوها إلى غاية القرن الرابع

[1] في سبتمبر 1861م كلف الفرنسيون الباشا أبو بكر بن حمزة بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله وتتبع أثاره في الرمال الصحراوية مع أتباعه التوارق، وفي الأخير قامت معركة طاحنة بينهم حوصر فيها الشريف بن عبد الله وأتباعه التوارق الذين استسلموا، أما الشريف فبقي صامدا لك قوة أبو بكر وسي الأعلى أضعفته وتم القبض عليه لينفى بعدها إلى فرنسا أين بقي في إقامة جبرية ينظر: فاطمة حباش من الأعلى بن بوبكر ، المرجع السابق، ص، 79.

[2] أبو بكر: سي بوبكر عين بعد وفاة أبيه بلقب باشا، توفي يوم 23 جويلية ولا يستبعد أنه اغتيل سما، ينظر: مالك بحوص، ثورة أولاد سيدي الشيخ سي سليمان بن حمزة،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، سنة 2009م، ص، 80.

[3] سي حمزة، عين خليفة على أولاد سيدي الشيخ شراقة في أبريل 1850م وتوفي في العاصمة يوم 21 أوت 1861م، ولقد ظلت أسباب موته مجهولة ولو أن إشاعة قتله باسم قد انتشرت في بعض الأوساط، ينظر: مالك بوحوص، المرجع نفسه، ص، 80.

[4] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص، 362.

عشر (14)[1]، وكانوا يتمتعون بتقدير كبير من ملوك تونس[2]، ولا يزال قبر ومسجد الشيخ سيدي محرز حتى اليوم ويعتبر إحدى المعالم المعمارية الكبرى في مدينة تونس.[3]

ومن تونس انتقل البعض منهم تحت قيادة سي معمر بن العالية ومعهم أتباعهم قادة وأحفاد عكرمة وأولاد عبد الكريم (الطرافي) وأولاد زياد والرزابنة إلى الجزائر ونواحي عرباوة من بني عامر[4] وتلمسان بالمغرب الأوسط ثم انتقلوا إلى غرناطة بالأندلس ثم رحلوا إلى منطقة فقيق بالمغرب الأقصى واستقروا بعدها في واحة تانكريت التي أصبحت تعرف باسم الأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني منذ مطلع القرن السابع عشر 17 وذلك نسبة إلى الجد المسمى عبد القادر بوسماحة.[5]

يعتبر الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بوسماحة أحد العلماء الذين عرفتهم أسرة أولاد سيدي الشيخ وكان من أولياء الله الصالحين ولد بقصر عرباوة ما بين البيض والأبيض سيدي الشيخ في حوالي سنة (940هـ/1533م) وتوفي عام 1025هـ-1616م.

ودفن بالأبيض سيدي الشيخ الذي أصبح ينسب إلى اسمه[6] وهو مؤسس الطريقة الصوفية الشيخية[7]، ونظر للمكانة التي كان يتمتع بها وسط الناس وبفضل قوة شخصيته وطهارته حل القانون

---

[1] Dépont Octave et coppolani Xavier. les confréries religieuses musulmans. Adolph Jourdan . Alger. 1897.P.439.

[2] صالح عباد الجزائر خلال الحكم العثماني، 1514م-1830م، دار هومة للطباعةوالنشر و التوزيع، ط02، الجزائر، 2007م، ص، 140.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن...، المرجع السابق، ص، 168.

[4] صالح عباد، المرجع نفسه، ص، 362.

[5] وللإشارة يعود نسبه إلى محمد سفيان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن أبي الحية بن عيسى بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة الله بن عسكر بن زيد بن أحمد عيسى بن تودي بن محمد بن عيسى بن زيدان بن طفيل بن المديون عزاز و بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، صديق الرسول صلى الله عليه وسلم عرف بالأخلاق النبي رافقه في الدعوة الإسلامية وهاجر معه إلى المدينة المنورة ولد بعد عام الفيل بعامين وأشهر ويعود نسبه إلى عبد الله بن شهاب بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التميمي، ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى..، المرجع نفسه، ص، 10، إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...،المرجع السابق، ص، 210.

[6] نفسه، ص، 210.

[7] هي طريقة تابعة للطريقة الشاذلية وبالتالي فقد أخذت أورادها ثم أضاف عليها سيدي الشيخ ذكرا خاصا يتمثل في قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، التشهد 300 مرة، الاستغفار 300 مرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فضائله 100 مرة، ذكر كلمة الله الواحد 100 مرة وتؤكد الشيخية على الزهد والخلو والذكر والدعاء بالرحمة والمغفرة، ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى ...، المرجع السابق، ص،16.

القانون والعدل محل الفوضى التي ميزت المجتمع حيث كان العنف هو السيد المطلق، ونظرا لكونه مدافعا عن المضطهدين والقضايا العادلة حضي سيدي الشيخ باحترام الجميع كبيرا كان أو صغيرا، كما حضي باحترام الأجانب، وكان للشيخ عبد القادر ثمانية عشر ولد من بينهم ستة أبناءهم الحاج أبو حفص، محمد عبد الله والحاج عبد الكريم وابن الدين، وابن الشيخ عبد الرحمان.[1]

تميزت عائلة أولاد سيدي الشيخ بإمارة أو مشيخة وراثية مستقلة منذ عهد الأتراك تقوم على نبالة أصلهم من جهة وعلى طريقتهم الخاصة من جهة ثانية وعلى قوتهم العسكرية من جهة ثالثة، وبفضل ذلك تمكنوا من توسيع نفوذهم في جنوب بايلك الغرب وكانت معظم القبائل الصحراوية وسكان الوحات (بريزينة والغاسول ومشرية وأغواط الكسل والأرباع والشلالة وبوسمغون وتيوت وسفيسفة واليش وفقيق) تدفع لهم الضريبة وامتد نفوذهم حتى إلى الأراضي المغربية.

سيطروا على قسم من تجارة القوافل التي تتم مع إفريقيا اكتسبوا من خلالها أموالا إضافية وقوة تفوق قوة البابات الأتراك (بايلك الغرب) الذين لم يتمكنوا من فرض السيطرة عليهم وأجبروا على إقامة علاقة ودية معهم.

بعد النزاع الذي كان قائم بين أولاد عبد القادر حول مداخيل زاوية سيدي الشيخ الكبير في الجنوب الوهراني التي كانت تجذب عددا كبيرا من الزوار، ازدادت مداخيلها بشكل كبير، وكانت تسلم لزعيم أولاد سيدي الشيخ النتحدر من الحاج بوحفص، هذه الوضعية كانت مدعاة للخلاف مع ذرية سي الحاج عبد الحكيم وتطور الخلاف إلى أن بلغ إلى السلاح ونتيجة لذلك انقسم أولاد سيدي الشيخ إلى صفين لا يلتقيان[2] ثم استقروا في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم، وعاشوا حياة البدو في الخيام مع عبيدهم وقسم آخر استقروا في الناحية الغربية من القصر وكانوا أكثر عدد من القسم الأول وانقسموا إلى قسمين[3]:

[1] Dépont Octove Et Coppolanier, op, cit, p: 70.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص، 141.

[3] يحي بوعزيز، ثورات القرن...، المرجع السابق، ص، 16.

- صف الشراقة المتكون من أولاد بوحفص وأتباعهم يقطنون القصر الشرقي ويسمون أولاد سيدي الشيخ الشراقة.
- وصف الغرابة المتكون من أولاد عبد الحكم وأتباعهم يقطنون القصر الغربي ويسمون بأولاد سيدي الشيخ الغرابة وأنشئوا لأنفسهم عدة زوايا.[1]

ونظرا للمكانة الدينية والسياسية التي كانت تتمتع بها عائلة أولاد سيدي الشيخ، سعى العديد من السلاطين مصاهرتها خاصة سلاطين المغرب الأقصى الذين ارتبط مع أسرة أولاد سيدي الشيخ وتزوج السلطان عبد الرحمان بن هاشم من السيدة الياقوت شيقة سي حمزة 1844م.[2]

وفي الوقت الذي اشتدت فيه ثورة الأمير عبد القادر ضد الاحتلال الفرنسي وضغط السلطان المغربي عليه امتنع أولاد سيدي الشيخ من تقديم المساعدات للأمير وذلك أنهم عندما زارهم عام 1846م، تضرعوا إليه بأن لا يعرضهم لنكبات الحرب التي تعرض قبور أوليائهم الطاهرين إلى دنس الكفار، وتقبل الأمير عبد القادر رغبتهم بهدوء.[3]

وبعد إبرام معاهدة لالة مغنية في 23 أوت 1849م بين سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر وسلطان المغرب الأقصى حول رسم الحدود[4] تم طرد العديد من القبائل التي كانت تستقر في الحدود المغربية الجزائرية، ومن بينها قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولكي تتجنب فرنسا غضبهم قامت بالتحالف معهم ونجحت في ذلك وتم تعيين سي حمزة بن بوبكر من أولاد سيدي الشيخ الشراقة خليفة على الجنوب الجزائري في 1850م[5] مدركين بذلك ما سينجر وراءه من فوائد فاتفقوا معه وأصبح سي حمزة لعبة في أيدي الضباط الفرنسيين وآلة يسخرونها في سبيل مصالحهم[6] حيث تم التحالف معه لمطاردة

[1] صالح عباد، المرجع نفسه، ص141.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...،المرجع السابق، ص، 214.

[3] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص،234 .

[4] يحي بوعزيز، ثورات القرن ...، المرجع السابق، ص، 170.

[5] محمد الشريف ولد الحسن، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830م-1962م)، ب ط، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص،170.

[6] محمد الصالح الصديق، كيف ننمي وهذه هي جرائمهم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص،55

المجاهد الشريف محمد بن عبد الله الذي تم القبض عليه من طرف سي حمزة الذي سلمه للسلطات الفرنسية سنة 1861م.

وبذلك أخذت أسرة أولاد سيدي الشيخ تتولى مهام ومناصب إدارية للفرنسيين في مناطق أخرى بعيدة عن مركزهم مثل ورقلة[1] التي أصبحت أغوية تحت وصاية أولاد سيدي الشيخ بفضل الانتصارات التي حققها سي حمزة مع الفرنسيين في أحداث الأغواط.[2]

ورغم إخلاص الخليفة للسلطات الفرنسية وذلك أنه وضع كل سلطته في خدمتها إلا أنها لم تثق فيه لما كان يحظى به من شعبية وقبول في أوساط قبائل الصحراء، وقامت باستدعائه في الكثير من المرات للجزائر لتحقق معه في العديد من الشكاوي التي أسست ضده من طرف عدد من سكان المنطقة ولكنه توفي في 15 أوت 1861م، وأعلن الفرنسيون بأنه سمم من طرف زوجته وتم تعيين ابنه الأكبر سي بوبكر في مكانه برتبة باشا أغا وهي رتبة أقل من رتبة الخليفة ولكنه توفي هو الآخر مسموما من طرف أنصاره في 22 جويلية 1862م.

وولت فرنسا سي سليمان بن حمزة[3] مكان أخيه سي بوبكر وعزلت القايد سي الزبير[4] من مهام أغا ورقلة بحجة مرضه المزمن وتم استبداله بأخيه سي لعلى بن بوبكر[5] الذي كان متأكد بأن وفاة سي حمزة وابنه بوبكر من تدبير السلطات الفرنسية وبدأ بتحريض ابن أخيه سليمان على محاربة

[1] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرير، 1830م-1962م، ط1دار الغرب الإسلامي، 1428هـ-2007م، ص، 57.

[2] فاطمة حباش، سي الأعلى...، المرجع السابق، ص، 29.

[3] سي سليمان بن حمزة: هو الابن الثاني لسي حمزة، ولد في حدود 1868م وعين خلفا لأخيه بوبكر وعمره لا يتجاوز 20 سنة بواسطة قرار 23 سبتمبر 1862م بمرتب 8000 فرنك، توفي في معركة عوينة بوبكر سنة 1864م، ينظر: فاطمة حباش، ننفسه، ص، 32.

[4] سي الزبير: ولد في 1870م، ينظر: فاطمة حباش، نفسه، ص، 15.

[5] سي الأعلى بن بوبكر، ولد في حدود 1819م-1820م، ترعرع وسط عائلة دينية وعسكرية قاد الثورة وعمره 45 سنة حقق عدة انتصارات ضد العدو وينظر: فاطمة حباش، المرجع السابق، ص، 10-11.

الاحتلال مستغلا سحب فرنسا جزء من فرقها العسكرية المتمركزة بالجنوب الغربي لمساندة جهود حرب الاحتلال في المكسيك وبالهند الصينية.[1]

لتنطلق بذلك ثورة أولاد سيدي الشيخ التي كان امتدادها على طول الصحراء الجزائرية لمدة 16 سنة شاركت فيها العديد من القبائل الصحراوية خاصة قبائل الجنوب الوهراني، كما انظم إليها الكثير من المجاهدين على رأسهم بن الناصر بن شهرة الذي كان من أول المشاركين للثورة، لقن الجيش الفرنسي دروسا لم ينساها معتمدا على أسلوب حرب العصابات في هجومات ماغتة ألحقت بالعدو وخسائر كبيرة ثم الانسحاب السريع في عمليات الكر والفر المتتالية التي أربكت العدو وجعلته عاجزا عن التعامل معه، حيث كان يلحق به أضرارا فادحة ثم يختفي فلا يوجد له أثر وهي طريقة مبتكرة في حرب العصابات عندما لا تكون القوتان المتقابلتان في القتال متكافئة في العدد والعدة تلجأ القوة الأضعف لطريقة الكر والفر تلحق بالعدو خسائر جسيمة، وهذا هو الأسلوب الذي سار عليه المجاهد (الناصر بن شهرة) مع العدو الفرنسي طيلة جهاده بما في ذلك مشاركته مع أولاد سيدي الشيخ في عدة معارك كبد من خلالها جيش الاحتلال الفرنسي خسائر جسمية في الأرواح والعتاد العسكري.[2]

2- اندلاع ثورة 1846م.:

اجتمعت الظروف كلها ضد أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا يمثلون اليد اليمنى التي اعتمدت عليها فرنسا لتحقيق مصالحها ولتوسيع مناطق نفوذها في الصحراء وإحكام السيطرة عليها لكن بالرغم من الخدمات التي قدمتها هذه الأسرة إلا أن السلطات الفرنسية كانت أكثر حذرا وتخوفا منها نظرا للمكانة الدينية والنفوذ السياسي الذي كانت تتمتع به العائلة، فقامت بتجريدها من امتيازاتها

[1] محمد الشريف، المرجع السابق، ص، 32.

[2] بشير كاش الفرجي، مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1830م-1962م، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار رويبة، 2007م، ص، 66-70.

بطريقة غير مباشرة، كما اتهمت أفرادها بالتعاون مع شريف ورقلة، ولم تكتف بذلك بل قامت باعتقال بعض زعماء أولاد سيدي الشيخ لتشعل بذلك لهيب الثورة.

أ- أسبابها:

1- رفض الشعب الجزائري للوجود الاستعماري الفرنسي في بلاده وهذه من الأسباب الرئيسية والأولى لكل الثورات التي قام بها الشعب الجزائري لأنه ينظر للفرنسيين على أنهم كفار جاءوا لتنصيرهم، فهم إذن أعداء خارجين عن الملة والدين يجب طردهم.[1]

2- الأوضاع المتدهورة والظلم الذي كانت تمارسه فرنسا على الجزائريين.[2]

3- سوء معاملة ضباط المكاتب العربية[3] للسكان[4] فبعد استدعاء ضباطها القدماء ذوي الخبرة، والمقدرة في معاملة الأهالي للعمل في حروب إيطاليا والمكسيك عوضوا بضباط جدد جهلاء بأوضاع البلاد، وطبيعة سكانها، اتصفت سياستهم بالشراسة والعجرفة، وعدم مراعاة مشاكل الناس والحقيقة أن سياسة الضباط القدماء أو الجدد هي واحدة تجاه الأهالي، فلم يكونوا يهتموا بمصالحهم طيلة عهد الاحتلال.[5]

4- إرهاق السلطات الفرنسية كامل السكان بالضرائب والغرامات المفروضة عليهم ومصادرة أملاكهم العقارية والحيوانية[6] كلما وجدت فرصة لذلك بهدف إفقارهم وإضعافهم من جهة، وحتى لا يثورون ضدها، ولتوفير الإمكانيات للجيش والمعمرين حتى تسهل استقرارهم.[7]

---

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...، المرجع السابق، ص، 219.

[2] العربي المنور،المرجع السابق، ص، 259.

[3] يعود تأسيس المكتب العربي إلى قرار 1فيفري 1844 في عهد الجنرال بيجو لتكون واسطة بين الإدارة الفرنسية و الأهالي يرأسه ضابط فرنسي إلى جانبه موظفين مترجمين، حارس، كاتب، قاضي وجابي الضرائب يخضع للمكتب إلى إدارة مركزية على مستوى العاصمة تابعة للحاكم العام و دورها الحقيقي هو تفتيت القيادات والزعمات المحلية ذات النفوذ المعرقلة للاستعمار، ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى ... المرجع السابق، ص، 3.

[4] بشير بلاح، المرجع السابق، ص،130.

[5] يحي بوعزيز، ثورات القرن ...، المرجع سابق، ص،176.

[6] بشير بلاح، المرجع نفسه، ص، 131.

[7] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص، 176.

5- إقدام السلطات الاستعمارية على إلغاء المجالس الشرعية الإسلامية وذلك لإبعاد السكان عن الدين الإسلامي ونشر المسيحية ولإضعاف الأسر التي لها مكانة دينية بما في ذلك أسرة أولاد سيدي الشيخ التي كانت منبع إحدى الطرق الصوفية ومقصد السكان للإرشاد والإفتاء.[1]

6- العمليات الدعائية التي كانت تقوم بها السلطات الفرنسية عن طريق حملات التشهير والتحقير ضد الجزائريين بواسطة الصحافة والمعمرين وأجهزة الإدارة وذلك على اعتبار أنها احتلت البلاد بالقوة ومن حقها أن تذل سكانها وتهيئهم وهذه السياسة شائعة في كل أنحاء الجزائر ولم تسلم منها أية فئة حتى أسرة أولاد سيدي الشيخ الذي رفضت ذلك.

7- محاولة السلطات الفرنسية إضعاف أسرة أولاد سيدي الشيخ وذلك بإنزال مركز العائلة إداريا عندما رفضت أن تخلع سي بوبكر، وسي سليمان ولد حمزة لقب (الخليفة) واستبداله بلقب (الباشا أغا).[2]

8- سياسة فرنسا المبنية على مبدأ (فرق تسد) لكسر وحدة الصفوف.[3]

9- محاولة فرنسا زعزعة سلطة سي سليمان، ووضع حد لنفوذه بالمنطقة[4]، خاصة بعد النزاع الذي حصل في مدينة القرارة وادي ميزاب، ولم عرفت السلطات الفرنسية مسببي الشجار طلبت من سي سليمان أن يوقفهم لكنه تباطأ وأخذ يستعد منذ يومها للثورة المسلحة[5] ووجه نداءا لعائلته أكد فيه أن الفرنسيين الذين سمموا والده حمزة وأخاه بو بكر لن يمتنعوا عن قتله وأن الأمر يقتضي التحضير للمواجهة وبدأ التحضير لإعلان الجهاد.[6]

---

[1] بشير بلاح، نفسه، ص، 131.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن ...، المرجع سابق، ص، 176-177.

[3] محمد الشريف، المرجع السابق، ص، 32.

[4] محمد الشريف، المرجع السابق، ص، 176.

[5] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص، 177.

[6] محمد الشريف، المرجع نفسه، ص، 176.

أما السبب المباشر للثورة والذي أوقد لهيبها فهو الحادث الذي كان يوم 20 جانفي 1864م والإهانة التي تعرض لها سي الفضل بن علي خوجة[1] كاتب الباشا أغا سي سليمان[2] يومها من طرف ضباط مكتب العربي في ساحة قرية البيض عندما كان مجتمعا مع عدد من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ يلعبون لعبة (الهف) وهي لعبة ذات شهرة منتشرة بكثرة في معظم مناطق الجنوب الوهراني[3]، وخلال اللعب تدخل أحد الصبايحية[4] لصالح بعض اللاعبين[5] فغضب سي الفضيل منه ونهره وحصل وحصل شجار بينهم تدخل على إثره كل الصبايحية الذين كانوا معه وأخذوا سي الفضيل إلى مركز المكتب العربي أين أشبعه ضربا[6]، ولما علم سي سليمان بما حدث لكاتبه عزت عليه نفسه واعتبر هذا هذا العمل إهانة له وللعائلة ككل[7] وقرر الاستقالة من منصبه وسلك طريق مخالف لأبيه سي حمزة ولد أبي بكر الذي كان متعاونا مع فرنسا، وعقد مجلس حربي مع أفراد عائلته أعلن خلاله الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وكان من أبرز الشخصيات التي حضرت المجلس كاتبه سي الفضيل الذي عينه قاضي الجهاد وعمه سي الأعلى أغا ورقلة.[8]

ب- إعلان الجهاد:

بعد أن اتخذ سي سليمان قرار الجهاد كلف سي الفضيل بكتابة رسائل إلى الزوايا والقبائل والأعراش بحثهم فيها على الجهاد في سبيل الله وحمل السلاح ووضح لهم أسباب الثورة[9] ونصبها: «الحمد لله ذي الاسم الأعظم والصلاة والسلام على نبي الهدى من عبد ربه سليمان ابن الشهيد

---

[1] سي الفضيل: كاتب سي سليمان ومستشار سي محمد فيما بعد ينتمي إلى قبيلة أولاد ماضي بالجنوب القسنطيني وتحديد بوسعادة وفي قورارة سنة 1879م ينظر: فاطمة حباش سي الاعلى...، المرجع السابق، ص، 54.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن ...، المرجع سابق، ص، 178.

[3] محمد الشريف، المرجع السابق، ص، 176.

[4] الصبايحية: هم متطوعين جزائريين في الجيش الغربي، تشمل مهمتهم في الجوسسة ومراقبة الأهالي والمشاركة في جمع المتمردين معا بل رواتب شهرية وامتيازات كاستغلال الأراضي وعرف بفرسان المخزن خلال العهد العثماني، ينظر: فاطمة حباش ، المرجع نفسه، ص،39.

[5] العربي منور، المرجع السابق، ص، 259.

[6] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة) ما قبل التاريخ إلى1962، ج1 د ط،دار المعرفة الجزائر، دس، ص، 289.

[7] العربي منور، المرجع السابق، ص، 259-260.

[8] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص، 178.

[9] العربي منور، المرجع نفسه، ص، 260.

حمزة بن أبي بكر رحمهما الله إلى كل من مقاديم الطريقة الرشيدة وشيوخ القبائل وكبار العمائر، السلام عليكم ورحمة الله وبر كاته أما بعد: هذا مني إليكم باتفاق جماعتنا بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله على سنة رسول الله ضد الكفار الفاسقين فرنساويين لعنهم الله الذين صانوا علينا وتعدوا وأطغوا كذا، وشرعوا في إهانة ديننا الحنيف لا أراد الله، بعدما فسقوا في أرضنا وأحلوا ما حرم الله فيها نحن رفعنا راية المحمدية وبشرنا كل مسلم بالجهاد راجين من المولى سبحانه وتعالى أن ينصرنا على الكفار المخزيين ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: 60] فإياكم ثم إياكم وكونوا من القوم الذين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: 55] ولن يخلف الله وعده، الجهاد ثم الجهاد ويوم المصانع وميدانه الجمع اللازم قبله يخبركم حامل البلاغ هذا وليبلغ من لا يبلغه من بلغه والسلام»، كتب بأمر خديم الدين سليمان بن حمزة يوم 22 من شهر شعبان عام 1280هـ.[1]

وعلى إثر هذه الرسائل أخذت القبائل والأعراف تتوافد على سي سليمان في معسكره ومن ضمنهم أهل الكسل وسكان القرارة[2] كما حضر ابن عمه الشيخ الطيب زعيم فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذي كان قد جاء من المغرب الأقصى لزيارة أقاربه وكذلك جلول بن حمزة الذي حضر من المنيعة على رأس جماعته[3] كما التحق به عمه سي الأعلى أغا الصحراء الشرقية في ورقلة الذي لم يتردد هو الآخر لتلبية النداء وتجسيد رجاله للقتال.[4]

وكانت أول مواجهة مع العدو الفرنسي سنة 28 فبراير 1864م في معركة عوينة بوبكر شرق البيض أين قام المجاهدون بهجوم مفاجئ على مخيم الجيش الفرنسي كبدوا خلاله العدو خسائر فادحة

[1] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ...، المرجع السابق، ص، 146.
[2] يحي بوعزيز، ثورات القرن...، المرجع السابق، ص، 182.
[3] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص، 194.
[4] عمار عمورة، المرجع السابق، ص، 154.

في الأرواح، كالعقيد بوبريتر Baupretretre[1] الذي قتل على يد سي سليمان بن حمزة قائد الثورة، لكن هذا الأخير قتل على يد حراس العقيد الفرنسي .

إذن بهذا النصر الذي حققه المجاهدين أحدث وقعا إيجابيا في أوساط القبائل التي سارعت إلى الالتحاق بالمقاومة.[2]

المبحث الثاني: أهم العمليات العسكرية للناصر بن شهرة مع أولاد سيدي الشيخ:

أثناء اندلا ع ثورة أولاد سيدي الشيخ كان الناصر بن شهرة في تونس وفور سماعه بالمقاومة عاد إلى الجزائر متخفيا ودخل ورقلة واتصل أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م[3] ليجعل المقاومة في الجنوب تشمل الجنوب الجزائري كله شرقه ووسطه وغربه وللوقوف أمام زحف الاحتلال الفرنسي نحو الجنوب وصده عن احتلاله[4] وكانت أول مشاركة له مع سي الأعلى الذي اتخذ نومرات[5] مقرا لجميع الثوار المسلحين ومتليلي[6] مكانا لبدء العمليات العسكرية[7] وذلك لإخضاع القبائل التي كانت متخوفة من من الجهاد كالشعانبة[8] والمخادمة وضمهم للثورة وتدريبهم على العمل المسلح ولعل أهم المعارك التي

[1] العقيد بوبر تير (1832م-1864م) ولد بمدينة صالات، كان أبوه مقاولا انتقل إلى الجزائر في 1839م وعند بلوغه السن 18 سنة التحق بالجيش الفرنسي فرقة الزوارق تميز بالجرأة والشجاعة، تولى مهمة التجسس ترقى إلى عدة رتب عسكرية حتى أصبح حاكم تيارت، ينظر: فاطمة حباش سي الأعلى...، المرجع السابق، ص، 43.

[2] محمد الشريف، المرجع السابق، ص، 33.

[3] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر ...، ص، 139.

[4] بشير عاش العرابي، المرجع السابق، ص، 66.

[5] النومرات: تقع شمال متليلي وتبعد بـ 35 كلم عن غرداية ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى...، المرجع السابق، ص، 40.

[6] متليلي:ليس لها أسوار ولا مياه بإستثناء ما يستخرج بالطواحين، ووجه الأرض هنا ليسا رمليا بل هو عبارة عن هضاب مغطات بصخور حادة ، ينمو هنا النخيل و قلما ينزل المطر، ولغة السكان هي العربية و البربرية، وهم يركبون الجمال، ينظر: الأغواطي، المصدر السابق، ص، 90.

[7] مالك بحوص، المرجع السابق، ص، 23.

[8] قبيلة الشعابنية: هي من القبائل العربية البدوية استوطنت باحواز ورقلة مع القرن السادس عشر وتعتبر متليلي المركز الأول لهم بعدها بدئوا ينتشرون في مناطق مختلفة مشكلين عشائر أهمها: شعابنة هب الريح تمركزو بورقلة متعاقبة بوروبة أو شعابنة استقروا بورقلة، عين البيضاء شعابنة متليلي (البرازقة) استقروا بالنواحي الغربية لورقلة وغيرها بالإضافة إلى مجموعة أخرى توجهت إلى الجهة الغربية باتجاه عين الصفراء، بشار، تندوف، ينظر، فاطمة حباش، المرجع نفسه، ص، 32، و.Rouvillons Madeline, le Pays de Ouragla, D.G.V., Paris, 1975, P161

تواجه فيها الناصر بن شهرة مع أولاد سيدي الشيخ والتي برهن من خلالها على وحدة الوطن والهدف.[1]

1- حملة طاقين:1864م/06/08:

تقدم سي الأعلى إلى طاقين في 06/08/1864م بجبال عمور على رأس قوة عسكرية قدرت بحوالي 1500 مقاتل وفي هذا الوقت انضم إليه زعيم قبائل الأرباع الناصر بن شهرة الذي حضر من نفزاوة بتونس ليزيد بتواجده دعما للثورة وقوة جديدة لصالح سي الأعلى الذي حاول تنسيق جهوده وتحقيق أهدافه ضد فرنسا مع عناصر أخرى ليست من عائلته ليؤكد بذبك على نبل غايته وهي التخلص من العدو بشتى الطرق متغاضيا عن أحقاده، وبذلك وحد المجاهدين قواتهما ليخوضا معارك طاحنة ضد العدو.[2]

وبمجرد وصول سي الأعلى إلى عين طاقين وجد بانتظاره ثوار الأغواط وسكان عمور وبوغار الذين دعموه بالمؤن والمحاربين، وسلم له جنود الصبايحية معسكر عير وسارة الفرنسي، ولما سمعت السلطات الفرنسية بذلك وجهت قواتها لمحاربته بقيادة الضابط أرشينال Archinard وبعد اشتباكات و اصطدامات بين المجاهدين والعدو تمكن الثوار من إخضاع كل قبائل بوغار وعمور[3] والجلفة[4] يضيق يضيق بذلك دعم جديد لهم يساندهم في التخلص من المستعمر الأوروبي، على رأسهم أغا مختار الشيخ بوديسة[5] الذي رحب بنشاط سي الأعلى بطاقين وسانده بتحركات ثورية أخرى بالأغواط.

---

[1] يحي بوعزيز ثورات القرن ...، المرجع السابق، ص، 180.

[2] فاطمة حباش، المرجع نفسه، ص،51 .

[3] جبال عمور: تقطنها جمعات تخصصت بزراعة الحبوب والرعي، أعلى قمة فيها بوبرقة 1959متر، ينظر أديب حرب، المرجع السابق، ص،26.

[4] الجلفة: من أكبر المراكز الجنوبية وأكثرها أهمية وأقواها تجارة ترتفع عن سطح البحر ب: 1153 متر، أسست حوالي سنة 1852 في مفترق الطرق بين الأغواط و أفلو و بوسعادة لها طقس شديد في الصيف و الشتاء، تعتبر من أكبر المراكز التجارية، ينظر أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص،278.

[5] بوديسة: يعرف ببوديسة بن عودة المختاري، أبوه كان منذ 1837م من أقوى المؤيدين لمقاومة الأمير عبد القادر فتعاون معه رفقة قبيلة أولاد مختار جنوب إقليم المدينة والأمير الأمر طبيعي أن يرثى ابنه صفة الشجاعة فتخلى عن لقب الأغا وانضم إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1865م، ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى ...، المرجع السابق، ص، 47.

وامتدت هذه الحملة إلى غاية 13/15 أوت وشملت معظم المراكز الفرنسية التالية Guellet-Es-Sthel الذي حرق عن آخره وكذا ببوقزل[1] أين تم الهجوم على ورشة لفتح الطريق بين بوغار والجلفة، وقتلوا ثلاث أوروبيين (لورماعي، دينكي، مولار) وحطموا العتاد كله وأشعلوه كليا ولم ينجو من الحادث سوى الحارس المدعو Gathier والذي فر بعائلته.

ونظرا لتواجد الناصر بن شهرة في هذه الحملة فقد كانت ناجحة وهذا بحكم معرفته الكبيرة بخبايا الصحراء ومهاراته المتميزة التي كان يتمتع بها في المجال العسكري والتكتيكي. تعتبر الحملة من أعظم الهجومات التي قام بها المقاومين، وذلك باعتراف الفرنسيين أنفسهم على مركز عين وسارة الذي حطم نهائيا وقتل كل الموجودين فيه على التوالي:

- ثلاث عناصر من الصبايحية: (محمد بن الأمير، عبد القادر بن الطاهر، فرحات بن رباح بن عمري).

- خمسة فرنسيين (الحارس Mthelin وأخته Alexandrine، والمحاسب بورال Boral الخادمين Grimand – Matgias).

وإثر هذا الهجوم أسرعت السلطات الفرنسية إلى غلق جميع محطات المسافرين على طول الخط الرابط بين الأغواط والجلفة وبوغار منها لحدوث عمليات أخرى وقطع الاتصال بين ثوار الوسط والغرب الجزائري.

وبالرغم من ذلك فإن عزيمة الثوار بقيادة سي الأعلى لم تتوقف بل ازداد حماسا وقاموا بعدة حملات أخرى من أهمها هجوم 21 أوت أين تمكن المجاهدين من الحصول على غنائم كبيرة وهجوم 08 سبتمبر 1864م التي حصد من خلاله الثوار عدد كبير من الأرواح.[2]

[1] بوقزول: تابعة إلى مركز المدينة تبعد بـ 65 كلم من البرواقية، ينظر: فاطمة حباش، نفسه، ص، 53.

[2] فاطمة حباش، سي الأعلى...، المرجع السابق، ص، 53-54.

ولم يتوقف الناصر بن شهرة عن دعم سي الأعلى وواصل المشوار معه في عدة معارك دارت بالمنطقة وواصل في يوم 21 أكتوبر إلى واد النساء جنوب بريزينة ومن هناك واصل مسيرة عمله مع ثورة أولاد سيدي الشيخ.

نظرا للنجاح الذي حققه الثوار بجنوب مدينة الجزائر من خلال حملة طاقين والحملات الأخرى التي ظهر فيها الناصر بن شهرة بقوة وبرهن من خلالها على وحدة الهدف والمبدأ الذي جمعه مع أولاد سيدي الشيخ وهو التخلص من العدو الذي عاث فسادا بالمجتمع والدين، فإن السلطات الاستعمارية عملت على القضاء على المقاومة بعدما أدركت خطورتها وأسرعت إلى تجنيد كل قواها للتصدي لهم لكن بالرغم من الجهود التي بذلتها لكبح الثوار إلا أنها لم تجن شيئا وذلك أن المجاهدين عموما والناصر بن شهرة بالخصوص لم يتخل عن هدفه النبيل وواصل النضال مع أولاد سيدي الشيخ، بحيث كان له حضور قوي ومساندة كبيرة للقائد سي الأعلى وترجمت هذه المشاركة في عدة هجومات.

2- حملة ورقلة[1] : 08/فيفري/1865م:

واصل الثوار تحركاتهم وقاموا بعدة هجومات وفي 31/12/1864م قرروا الهجوم على قريتي العلية والطيبات فعمدوا إلى نهبها والاستيلاء على الحبوب والإبل كما خربوا كل المزارع ليتجهوا بعدها صوب ورقلة بدعوة من سي الأعلى الذي كان في طريقه نحوها قادما من الغرب ووصل المنطقة في 23 جانفي 1865م بصحبة أنصاره من المخادمة والشعانبة متليلي والشعانبة بوروبة واستقر بحفرة الشاوش، المكان المتفق عليه وهو نفس المكان الذي انضم فيه الناصر بن شهرة[2]، بعد مجيئه من نفزاوة بتونس وفور

[1] ورقلة: تقع ورقلة بالصحراء من جهة الشمال 45-56-31 و 02- 42- 69 من جهة المحيط المحوري ذات 160 كلم عند بعد توقرن 152 من جهة الشمال متليلي وحوالي 275 كلم من جهة يقوليا وهي مجموعة من المناطق أطلقا عليها اسم ورقلة وهي مقسمة إلى حوضين:

1- حوض نفوسه الذي يشكل وادي النسا وواد ميزاب المعروف بمورده لبني ميزاب،

2- حوض وقلة الفاصل بالرمال والواقع من جهة الأرض التي عرضها 285 كلم بين النهر والهضاب العليا

ينظر: Rouvillois Madeleine, op, ci, pp: 151-152.

[2] Charles Féraud notes pour sersira l'histoire d'Ouargla, R.A, op, cit, p: 417.

وصوله ساعد الثوار على إخضاع القبائل المعارضة على رأسهم قبيلة سعيد عتبة[1] التي فضلت العمل لدا السلطات الفرنسية، كما ساندهم على نشر الحماس بين المجاهدين وعلى غرس روح المقاومة في نفوسهم.[2]

ومباشرة بعد سماع السلطات الفرنسية بذلك وجهت قوة عسكرية بقيادة الكولونيل سيروكا Séroka [3]قائد مقاطعة باتنة الذي توجه في 15 جانفي إلى الحجيرة[4] أين يتواجد على باي الذي كان مكلفا بنقل الأخبار للسلطات الفرنسية، دائما وفي نفس الإطار علم القائد فرجمول Fergemol [5] في 28 جانفي بواسطة جاسوس من سعيد عتبة بمشروع سي الأعلى وخطواته.

لذلك تحرك في 1865/01/31م متجها إلى حفرة الشاوش خاصة لما علم بأنا سي الأعلى قرر الانتقام من قبيلة سعيد عتبة بعد عصيانهم حيث توجه هذا الأخير رفقة الناصر بن شهرة الذي كان له دراية واسعة بالمكان خاصة وأنه كانت له تجربة من قبل في المنطقة مع محمد بن عبد الله، نحو القبيلة[6] بقوة قدرت بـ 100 فارس و300 جندي مشاة أغلبها من المخادمة والشعانبة لكن هذا التحرك أردعه القائد فرجمول وفقد من خلاله سي الأعلى الكثير من قواته واضطر للتراجع مؤقتا.[7]

---

[1] سيدي عقبة: ظهرت في القرن 13 هـ في العهد العثماني تفرعت إلى فرعين الأول يضم أولاد مولود بنواحي توقرت أما الثاني يضم عشرة سعيد عمر بتماسي والحجيرة والمخادمة المنتشرة بين ورقلة والرويسات، وصل إلى الهضاب العليا، فبعد قضائهم الشتاء بنواحي ورقلة ونفوسة يتوجهون مع مستهل الربيع إلى وادي ميزاب ويقضون كامل الصيف بأحوار السرسو، ينظر: فاطمة حباش، سي الاعلى، المرجع السابق، ص، 29.

[2] يحي بوعزيز، ثورات ....،المرجع السابق، ص، 191-192.

[3] سيروي: كان متواجد ببوسعادة بعد نهاية معركة وادي الرمال وفي 29 أكتوبر توجه إلى المنقب أين قضى شهر نوفمبر وديسمبر لحماية القبائل المخالفة وإخضاع القبائل المعارضة، ينظر: Charles féraud, op, cit, p: 413

[4] الحجيرة: تقع عى بعد 25 كلم جنوب بسكرة وعلى بعد 76كلم جنوب توقرت في الطريق الرابط بين بسكرة وورقلة وهي تعتبر من فرع قبيلة تماسين وأولاد سعيد، ولد عمور، ينظر: فاطمة حباش، سي الأعلى، المرجع السابق، ص، 64.

[5] فرجمول: ولد في 1821/09/17م درس بمدرسة العسكرية سانت فيرو، وتخرج منها سنة 1841م توفي في مهامه العسكرية وحتى أصبح قائد سنة 1847م ينظر: فاطمة حباش ، نفسه، ص، 62

[6] علي باي: ينتمي إلى عائلة بوعكاز عينه الفرنسيين كقائد على منطقة الواد و على وادي سوف، ينظر: سعد الله، الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص، 38.

[7] Charles féraud, op, cit, p: 414-415.

تواصلت المواجهة بين قوات سي الأعلى وفرنسا التي كانت تتأرجح بين الهزيمة والانتصار حتى وإن كانت الكفة في تلك الفترة لصالح الفرنسيين، لكن بحكم الحنكة الحربية التي كان يتمتع بها سي الأعلى والمساندة الكبيرة التي تلقاها من الثوار خاصة الناصر بن شهرة الذي كان بمثابة المرشد له فقد قرر إعادة الهجوم على قبيلة سعيد عتبة في 08 فيفري 1865م وتوجه مباشرة إلى مركز تواجدها بالخليف، وعند وصوله تفاجأ بأثار حديثة للقوات الفرنسية متجهة نحو الحجيرة فقرر ملاحقة القوات الاستعمارية بصحبة الناصر بن شهرة طبعا وذلك أن هذا الأخير له قدرة كبيرة في معرفة الطرقات والاتجاهات[1] مع صحبة قوة عسكرية تقدر بـ 600 جندي مشاة و80 فارس التقى مع العدو في معركة حاسمة قرب حاسي بوروبة ورغم المقاومة الطويلة إلا أن الثوار انهزم أمام الفرنسيين الذين عادوا نحو الحجيرة محملين بالغنائم ليصبح بذلك المجاهدين في حالة حصار بين قوات سيروكا وفرجمول خاصة بعد استلام أغلب القبائل ماعدا المخادمة.[2]

3- هجومات الضاية[3] وسعيدة:[4]

بالرغم من الهزيمة التي تلقاها الثوار في أحداث ورقلة إلا أن هذا لم يكبح من عزيمتهم بل على العكس زاد من صمودهم وإصرارهم حيث توجهوا نحو الجنوب الغربي أين تمت مبايعة الابن الثالث المدعو أحمد بن حمزة[5].

بعد استشهاد أخوه محمد [6] من طرف القبائل المساندة من بينهم أهل الفتايت أولاد عيسى، أولاد علوش، المخادمة، والشعانبة بالإضافة إلى الناصر بن شهرة الذي كان حاضرا خلال المبايعة ليواصل مساندته لسي الأعلى من خلال مشاركته في عدة معارك.

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن ...، المرجع السابق، ص، 192-193.

[2] فاطمة حباش، سي الأعلى...، المرجع السابق، ص، 64.

[3] العناية: تبعد عن سيدي بلعباس بـ 15 كلم وهي إلى البلدية المختلطة، ينظر: فاطمة حباش، نفسه، ص، 57.

[4] سعيدة:74 كلم جنوب شرق معسكر، ينظر: أديب حرب، المرجع السابق، ص، 230.

[5] سي أحمد: ولد عام 1852م وتوفي عام 1868م في منطقة تافيلالت، ينظر:مالك بحوص، المرجع السابق، ص، 80.

[6] سي محمد: ولد عام 1845م وتوفي عام 1865م إثر جروح تلقاها في إحدى المعارك، ينظر: مالك بحوص، نفسه، ص، 80.

بعد الهزيمة التي تعرض لها الثوار في معركة وادي[1] ديره في 08 أفريل 1865م قرر الثوار إعادة الهجوم بالاعتماد على أسلوب الكر والفر الذي كان يتميز به الناصر بن شهرة وذلك بتنظيم الكمائن ضد القوات الفرنسية المتميزة بحداثة أسلحتها، منها خنقه الطراد بين الشلالتين قرب المنحدرات بقوة عسكرية قدرت بـ 2000 جندي، لكن هذا الكمين كانت نتائجه سلبية وكبد المجاهدين خسائر كبيرة قدرت بحدود 60 قتيلا والعديد من الجرحى.

و في 09 أفريل 1865م حصلت مواجهة بين الثوار والقوات الفرنسية بقيادة القائد كولمب Colomb قرب تازينة شارك فيها الناصر بن شهرة الذي تعرض لجروح إثر حادث وانتهت هذه المعركة بخسائر معتبرة من الطرفين، بلغت خسائر الثوار بـ 70 قتيلا والمئات من الجرحى.[2]

كل هذه التحركات التي قام بها الثوار تدل على قوة عصب الثورة الأمر الذي دفع بالسلطات الاستعمارية تسرع للقضاء على المقاومة لكن هذا لم يمنع سي الأعلى رفقة الزعيم الناصر بن شهرة من الاستمرار خاصة بعد إدراكهما سياسة فرنسا وذلك بالتعامل معها بنفس أسلوبها أي بضرب مصالحها وإقصاءها بنفس سلاحها.

ومن أهم العمليات التي قام بها الثوار للانتقام من فرنسا والقضاء على مصالحها كانت ضد قبائل جنوب الضاية وذلك بنهب مطاميرها المملوءة قمحا.

وتعدى عمل السلب الممتلكات الفرنسية فشنوا هجوما على مزارع أولاد ميمون[3] (مومن) وهجوم آخر على مزرعة المعمر دولستاب M.delestaps حيث تعرضت إلى الحرق والنهب كما شن هجوم آخر بقيادة سي الأعلى بمنطقة سعيدة لكن الكولونيل بيشو Péchot تصدي لهذا الهجوم واسترجع المواشي وقتل من الثوار ما بين 35-45 شخصا.

---

[1] واد ديرم، يبعد بـ 27 كلم عن الشلالة، ينظر: فاطمة حباش، نفسه، ص، 69.

[2] فاطمة حباش، سي الأعلى...، المرجع السابق، ص، 69-70.

[3] أولاد مومن قرية استعمارية بتلمسان تكثر بها مصالح المعمرين من نزاع وغيرها تابعة إلى عين فازة يبعد بـ15 كلم عن سيدو، ينظر: فاطمة حباش، المرجع نفسه، ص، 72.

وفي هذا الوقت وصل الناصر بن شهرة وبودية لمساندة سي الأعلى بعدما كانوا في القطاع الشرقي وكان لتواجدهما أثر إيجابي على الثوار ودعم كبير لسي الأعلى خاصة وأنهما تمركزا شمال غرب البيض[1] في إطار سياسة ملئ الفراغ والنيابة عن الثوار في مناطق أخرى حتى تكون السيطرة والإحكام لمصالحهم، وبذلك كانت الخطة ناجحة أجبر من خلالها الفرنسيين على رد فعل سريع أسفر على تراجع الثوار وخضوع بعض القبائل.[2]

من خلال العمليات نجد تنوعا جغرافيا في مشاركات الناصر بن شهرة في ثورة 1864م وهذا في حد ذاته يعبر عن الوحدة في مجال المقاومة والنضال، فمن عمليات لمسقط رأسه إلى أعماق الصحراء اكتسب بها أتباعا، ثم عمليات في الشمال بهدف التأكيد على أن موقعه النضالي نابع من مبدأ النضال لأجل الوطن والوطنية.

رغم طول مدة ثورة أولاد سيدي الشيخ إلا أنه في الواقع استمرت قوتها حتى سنة 1870م وذلك أنه بعد هذه السنة بدأت تعرف تراجع، بسبب الاستعداد القوي للسلطات الاستعمارية ومحاصرتها لكل أتباعها في مختلف الجهات إضافة إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر عامة مع أواخر الستينيات متمثلة في الجفاف وغزو والجراد وانتشار المجاعة والأوبئة الأمر الذي أنهك كاهل القبائل وأضعفها، ولم يعد بمقدورها دعم الثورة ماديا.

لكن رغم كل هذه الظروف الصعبة إلا أننا نجد أن الناصر بن شهرة استمر في مساندة الثوار، وقام بأدوار متنوعة بين التنظيم والتحضير والدعوة للجهاد ثم قيادة العمليات، ففي 1866م نجده يرافق سي الزبير بن بوبكر وأحمد بن حمزة إلى مدينة المنيعة[3] ثم إلى عين صالح لأجل تجنيد الثوار والمجاهدين من أهل توات والشعانبة، مما بدل على دوره في توسيع نطاق الثورة ومدها إلى أعماق

[1] يحي بوعزيز، ثورات القرن...، المرجع السابق، ص، 194.

[2] فاطمة حباش، نفسه، ص، 70.

[3] المنيعة: تقع هذه القرية وسط الرمال و ليس لها ماء باستثناء أبار، وسكانها يسمونها بالشعانبة وهم يتكلمون العربية، ويركبون الجمال، وليس لهم خيول، و تنتج المنيعة التمر و الحلفاء، ينظر: الأغواطي، المصدر السابق، ص، 91.

الصحراء عن طريق الإتباع ليقطع الطريق بذلك على الفرنسيين في الوصول إلى زعامتها من تواتين وتوارق[1] وكسبهم لصالح الثورة على حسابهم.[2]

ولما ظهر في شهر مارس 1869م قي صحراء توات ثائر وزعيم للجهاد جديد هو السيد الشريف محمد بن التومي بن إبراهيم المشهور باسم بوشوشة أعلن الجهاد ضد الكفار، انضم إليه الكثير من أبطال الصحراء على رأسهم الناصر بن شهرة الذي التحق به فور سماعه، وعملا على تنسيق جهودهما معا في ميدان الكفاح فالتقيا في قرى المحرق وقنيفيد على الضفة اليسرى لوادي مزاب.[3]

[1] توارق: توارك، مصطلح يطلق على قبائل البربر في الصحراء الكبرى، سموا بذلك لأنهم تركوا طريقة الهداية، او الطوارق نسبة الى طرقهم في الصحراء و توغلهم فيها، ومنهم من قال أن نسبهم الى طارق بن زياد، و هم يسكنون بلاد الهقار، ينظر: محمد سعد قشاط، عرب الصحراء الكبرى (التوارق)، ط 4، دار العربية للموسعات، بيروت، 2008، ص، 84.

[2] فاطمة حباش، مجلة عصور الجديدة، المرجع السابق، ص، 305-306.

[3] أحمد قصبة، المرجع السابق، ص، 59.

الفصل الرابع

نشاط ابن الناصر بن شهرة مع الشريف بوشوشة وثورة المقراني 1869-1875م

المبحث الأول: ظروف اندلاع ثورة بوشوشة وظهور جماعة المداقنة

المبحث الثاني: إنضمامه للثورة الشريف بوشوشة

المبحث الثالث: مرحلة الضعف والتراجع

المبحث الأول: ظروف اندلاع ثورة بوشوشة وظهور جماعة المداقنة:

كانت الجزائر في أواخر الستينيات (1865م-1870م)، تعيش أوضاعا ومشاكل معقدة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، التي مهدت في النهاية[1] لقيام ثورة بوشوشة عام 1871م، والتي اندلعت في ظروف دولية ارتبطت بالعالم وداخلية بالجزائر، يمكن إيجازها فيما يلي:

1- على المستوى الدولي:

- الانقلاب السياسي الذي أنهى النظام الإمبراطوري وأعلن عن ميلاد الجمهورية الثالثة في 04 في مارس 1870،[2] وما أنجر عنه من انعكاسات سياسية سواء في فرنسا أو في الجزائر حيث أدت إلى التطاحن بين المدنيين والعسكريين، فالمناطق المدينة كانت تسير وفق نظام المجالس البلدية المنتخبة، أما المناطق العسكرية فكانت تسير من طرف المكاتب العربية إضافة إلى أن المعمرين كانوا أشد المعارضين للإمبراطورية .

- صدور عدة قوانين كانت مجحفة في حق الجزائريين وأكثرها قانون كريميو[3] الشهير في 24 أكتوبر 1870م، الذي نص على إلغاء منصب الحاكم العام العسكري وكذا المكاتب العربية في الجزائر وتعويضه بحاكم مدني، وكذلك حصر سلطة القائد العسكري في المناطق التي يتواجد فيها الجيش فقط دون تدخله في القضايا ذات الصفة المدنية، هذا القانون جاء لتجنيس اليهود وهو الأمر الذي رفضه الأهالي لأن حصول اليهود على الجنسية الأوروبية يعطيهم امتياز أكثر ويرفع من نسبة الوجود الأوروبي بالجزائر.[4]

---

[1] إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 158.

[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص، 100.

[3] قانون كريميو، أصدره أدولف كريميو اليهودي الذي عين بتسيير شؤون الجزائر، ترتب عنه صدور قرار 24 أكتوبر 1870م، يقضي بتجنيس يهود الجزائر بصورة جماعية وإجبارية، ينظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص، 139.

[4] بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة، ومقاوم 1830م-1848م، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2010م، ص324.

- نشوب الحرب بين بروسيا وفرنسا سنة 1870م، واضطرار هذه الأخيرة إلى ترحيل جزء من جيوشها نحو الجهة الأوروبية، وهو ما شجع الثوار على استغلال هذه الفرصة لأنها قلصت من تواجد الجيش الفرنسي بالجزائر.[1]

- التنسيق الثوري الذي قام به ابن ناصر بن شهرة مع محي الدين[2] بن الأمير عبد القادر الذي وصل إلى الجنوب تونسي، حرك هذا النشاط معظم الجنوب الشرقي، وجعله مهيأ للثورة، هذا ما يؤكده تقرير أغا الجريد حول قدوم محي الدين إلى بن ناصر بن شهرة حيث يقول: «... فقد بلغنا أن ابن ناصر بن شهرة القاطن بقرب نفزاوة قدم نفران أحدهما من الشرق سمى نفسه من أبناء الأمير عبد القادر بن محي الدين والثاني من الغرب يسمى إبراهيم ابن عبد الله وتوجها صحبة بن ناصر المذكور إلى جهة الغرب ...»، وقاما بتحرير رسائل إلى أتباعهم وإلى معظم قبائل الجنوب الشرقي، وكانت الرسائل البعض منها بختم الأمير محي الدين والبعض الآخر بختم بن ناصر بن شهرة، وأرسلت إلى أعيان الصحراء منهم رئيس زاوية تماسين[3] وشيوخ الطرود بسوف[4] والأغواط ومتليلي وميزاب وورقلة والمخادمة والشعانبة وسعيد عتبة، وحتى إلى الشريف بوشوشة[5] التي كانت تربطه علاقة وثيقة مع ابن الناصر بن شهرة.

2-على المستوى الداخلي:

كانت الواحات الصحراوية خلال فترة الستينات ومطلع السبعينات تعج بالأحداث التي خلقتها السلطات الاستعمارية الفرنسية ونذكر منها:

---

[1] إبراهيم مياسي، من قضايا...، المرجع السابق، ص ،157 .

[2] محي الدين، هو ابن الأمير عبد القادر، عاش مع والده في دمشق، اشتهر بثقافته الواسعة، وحماسته للقضية الإسلامية كما حظي باحترام الدولة العثمانية، أسند اليه في سنة 1865م منصب قاضي أزمير، توجه إلى الإسكندرية وعندما اندلعت الحرب البروسية – الفرنسية انتهز الفرصة لتحرير وطنه الجزائر، بعدها سافر من الإسكندرية متوجها إلى تونس خفية واستطاع الوصول إلى الحدود والتقى باللاجئين والمقيمين بتونس منهم بن شهرة، ينظر: بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، دار النفائس، بيروت، 1990م، ص ص، 62-67.

[3] فاطمة حباش، عصور جديدة، المرجع السابق، ص، 307.

[4] تماسين:تعتبر من اقدم واهم المدن المكونة لاقليم وادي ريغ بالجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية و هي دائرة تابعة لولاية ورقلة و تبعد عنها ب 150 كلم ، ينظر:بغداد محمد، تماسين جوهرة الصحراء، ط1، دار الحكمة، الجزائر ،2010 ، ص، 40.

[5] سوف: تشتمل منطقة سوف على الكثير من المداشر و القرى المنتشرة هنا و هالك،و قاعدتها مدينة الوادي المعبر عنها بمدينة ألف قبة الواقعة مسافة 200كلم من مدينة بسكرة: ينظر أحمد سليمان، أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، ، د.ط، دار القصبة2007، ص، 206.

- النزاع العائلي الذي تحول إلى نزاع سياسي الذي كان على أشده حول السلطةو النفوذ بين أسرتي بوعكاز وابن قانة.

- الثورات التي اندلعت بالشرق الجزائري منها ثورة الحنانشة 1871م، وثورة أولاد عبدون والنمامشة1871م، وأولاد عبيد والمقراني من نفس السنة.

- تأثر الصحراء بالظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية كالقحط والجفاف وانتشار الأمراض والأوبئة وزحف الجراد الذي أتى على الأخضر واليابس، والتي عمت شمال البلاد،[1]وذلك بتوقف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب، كما سلط المستعمر ضرائب مجحفة على سكان الصحراء بهدف إضعاف المقاومة لديهم إلى درجة أنه عند فشل سكان المنيعة عن دفع الضرائب دفعها عنهم شعانبة ورقلة تجنبا لانتقام السلطات الفرنسية، وكان لهذه الأزمة الاقتصادية تأثير قوي على المجتمع الجزائري.[2]

وبسبب الظوف التي عاشتها الجزائر، فقد اضطر العديد منهم إلى الهجرة خارج مناطقهم كأهالي بوخنفيس الذين اتجهوا إلى المنيعة، ومارس البعض الآخر الإغارة على أملاك الغير داخل الجزائر وعلى حدود تونس نفسها، خاصة منطقة نفزاوة كما فعل سالم ابن شراير والأخضر بن حورية والشيخ الزكري.[3]

وجراء هذه الظروف أخذ البعض يقطعون الواحات الصحراوية بين وادي الشبكة ووادي النساء واتجهوا إلى العالية وزلفانة والمنيعة، وحصل في إحدى المرات أن قامت مشادات كلامية بين ابن شراير ومعطي الله الشعابني وبوبكر بن عبد الكريم فقال معطي الله لبوبكر، إنكم سراق تتعدون حتى على

[1] بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، المرجع السابق، ص، 263.

[2] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م-1871م، المؤسسة الوطنية للفنون، المطبعة ، الجزائر، د ط، 2009م، ص ص 101-106.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص، 71.

من يفعل معكم الخير فأنتم مثل الطوارق (مداقنات) وبقيت هذه التسمية على الجماعة التي دأبت على اختراق الصحراء لممارسة السطو والنهب والخطف حسب رأي لوشاتولييي l Bchateliel[1].

3-ظهور جماعة المداقنة:

تأسست جماعة المداقنة سنة 1869م في تيديكلت وكان بوشوشة من ضمنها ويدعى بذلك الاسم (بوشوشة) بمعنى الفارس لتطبعه على الحياة الفروسية منذ نشأته الأولى.

واسمه الحقيقي أحمد بن التومي بن إبراهيم، ولد بقرية الغيشة قرب المنيعة (الغولية) بجبال عمور، التي كانت أغوية خاضعة للمكتب العربي بأفلو التابعة لقسمة مدينة معسكر، ولا يعرف تاريخ مولده بالضبط، ولكن بالتقريب حوالي عام 1826م أو 1827م، استنادا إلى تاريخ اعتقاله عام 1826م، حيث كان عمره آنذاك خمسة وثلاثين عاما.[2]

مارس بوشوشة حياة الترحال، كان ينتقل بين أطراف الصحراء، واستقر بعض الوقت لدى أولاد عيسى قبل أن يتجه إلى فقيق[3]لجمع الأموال والمؤونة والأسلحة الضرورية لتنقلاته وحركته، ويظهر أنه سطا في الطريق على أموال بعض خصومه، فأوقفته السلطات الاستعمارية حيث قدم إلى محكمة تأديبية حكمت عليه يوم 22 ديسمبر 1862م ببوخنفيس على الضفة اليسرى لوادي مقرة على بعد 15 كيلومتر من مدينة سيدي بلعباس.[4]

وفي سنة 1863م هرب بوشوشة من السجن كما ادعى رين، وحاول أن يلعب دورا في ثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت سنة 1864م، لصالح أهدافه الخاصة، ولكنه لم ينجح، حيث تزوج من أخت أرملت أخيه الكبير، وقام برحلة خلال نفس السنة إلى تونس وطرابلس الغرب لأسباب

---

[1] عابدي حياة وقلول إيمان، المقاومة في الجنوب الشرقي ثورة الشريف بوشوشة 1869م-1875م، شهادة الماستر، إشراف فاطمة حباش، تيارت، 2014م-2015م، ص، 22.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص، 69-70.

[3] فقيق: أسم لناحية صحراوية تشمل نحو 20 كلم وفيها سبعة قصور، يحمي كل قصر منها جدار عظيم، والقصور هي الزناقة، والواد غير، والعبيد، والمعيز، أولاد سليمان، الحمام الفوقاني، والتحتاني، ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص ص، 291-292.

[4] إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830م-1962م، دار هومة، الجزائر، د ط، 2007م، ص 198.

غير معروفة[1]، وفي مطلع عام 1865م عاد إلى الجزائر، واتجه إلى واحة الأغواط حيث طلق زوجته، ثم اتجه إلى فقيق مركز تجمع أولاد سيدي الشيخ و بعدها انتقل إلى توات وذلك لجمع الأنصار والأتباع، وبسبب الظروف التي عمت البلاد جعلته يتأخر في بداية نشاطه الثوري.[2]

المبحث الثاني:إنضمامه للثورة الشريف بوشوشة.

تمركز بوشوشة في بداية مشواره بواحة عين صالح[3]، ولما أحس بأن أمره بدأ يتقوى لكثرة أتباعه راح معلنا نفسه شريفا، فبايعه الشعانبة المواضي، وفي شهر فيفري 1870م، بايعه شعانبة ورقلة، فأخذت حركته تمتد وتنتشر، وبمساندة بن الناصر بن شهرة له ازداد إصراره على التقدم نحو الجنوب الصحراوي والذي تعدى مجاله الجغرافي.

1-السيطرة على ورقلة وتقرت1871:

قام بن الناصر بن شهرة بحث الناس على حمل السلاح، وجلب أكبر عدد من الأتباع لمتابعة مشواره النضالي بالتنسيق والمشاركة مع بوشوشة، حيث انضم إليه على رأس جيش من أهل توات والشعانبة المواضي والشعابنة متليلي وأهل المنيعة وأهل قرى المحرق وقنيفد على الضفة اليسرى لوادي ميزي، اتفقوا فيما بينهم على طرد القائد جعفر المعين من قبل السلطة الاستعمارية في أفريل سنة 1870م، وذلك باستيلائهم على المنيعة.[4]

بعدما قضى بوشوشة مدة معينة بعين صالح غادرها وكان ذلك في أواخر سنة 1870م قاصدا واحة الرويسات، وكان يريد اقتحام توقرت ولم يستطع فاتجه إلى قرى وادي سوف محاولا اقتحام بلدة نقوسة وذلك يوم 05 مارس 1871م[5]، إلا أنه فشل فأخذ طريقه نحو ورقلة في نفس اليوم، فسيطر

[1] Luis Rim, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, imprimeur, Alger, p.: 79.

[2] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص، 226.

[3] عين صالح: تعتبر المركز الحضري لمنطقة تاديكالت، تقع داخل سهل رملي محاط من الشمال بهضبة تادميت ومن الجنوب الشرقي بمرتفعات مويدير، وتنتشر حولها واحات وهذه الواحات عبارة عن غابات من النخيل في جوف الكثبان الرملية، ينظر: عبد القادر خليفي، محطات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص، 63.

[4] حباش فاطمة، ابن الناصر بن شهرة في الحركة الوطنية 1851م-1875م، عصور جديدة، المرجع السابق، ص، 306.

[5] عمار عمورة، المرجع السابق، ص ، 146.

عليها في اليوم الثاني، حيث كانت ورقلة تابعة لأغوية علي باي من عائلة بوعكاز الذي كان آنذاك في حاسي الناقة، فاغتنم بن شهرة الفرصة لتسهيل أمر دخول بوشوشة إلى ورقلة والاستيلاء عليها، ولما استولى بوشوشة عليها قام بتعيين بن شهرة آغا عليها[1] على أمل أن تكون أهم قاعدة له، وفي اليوم الثامن اتجه إلى قمار[2] فقاومه شيخ الزاوية التيجانية محمد الصغير بن الحاج ورفض استقباله، بالرغم من أن بشوشة وضح له الأمر وهو مهاجمة زمالة علي باي وليس الزاوية، إلا أن السكان عارضوا ذلك وقاموا باتفاق مع بوشوشة على دفع مبلغ من المال مقابل رحيله عن قريتهم، وذلك بعد مواجهة تمت بين الطرفين وعرفت بمعركة قمار بين 04 و06 ماي 1871م[3].

تجنب بوشوشة الاصطدام مع سكان واحة قمار، فتوجه إلى حوية القائد وأرسلهم لبعض الزعماء التابعين لصف ابن قانة كانوا يريدون القضاء على نفوذ علي باي الذي كان يتمتع بسلطة واسعة [4] بالإضافة إلى قوة عسكرية مساندة له من طرف فرنسا بقيادة موصلي، ومن ضمن من راسل بوشوشة: سكان قبلي وسلماية وأولاد دحمان، وأولاد حويلت وشيخ قرية نزلة بوشمال بن محمد بن قبي وأخوه قبي بن قبي، وشيوخ مجارية: الحاج أحمد علي الطرابلسي، والحاج إبراهيم بن الحاج عمر مقدم الطريقة الرحمانية بنفطة، والمعارضون من أتباع زاوية وادي عبدي، وكلهم من الذين يعارضون علي باي ويسعون لتحطيمه، تقدم بوشوشة ومن معه من المؤيدين لمواجهة علي باي حيث وقعت مواجهة بينهما كانت معركة دامية بين الطرفين تمت يوم 28 مارس 1871م وسميت بمعركة الزيتاية.[5]

بعد هذه المعركة ، توجه بوشوشة بقواته إلى تقرت وكان ذلك يوم 13 ماي، ومنها سار إلى باب عيسى أحد أبواب المدينة، وفي اليوم الموالي فتحت أبوابها له، فدخلها في جو من الزغاريد، حيث اعتصم أنصار علي باي في قصبتها مدة من الوقت، وبعد مفاوضات بين الطرفين خرجوا

[1] أحمد بوزيد قصيبة، ابن ناصر بن شهرة، مجلة الأصالة، ع06، المرجع السابق، ص،56.

[2]

[3] أبوقالسم سعد الله، الحر كة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص، 278.

[4] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الحرة 1830م-1954م، المرجع السابق، ص ص، 24-25.

[5] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص، 146-147.

وذلك بشرط أن لا يتعرض له أحد عند مغادرتهم المدينة، ولكن لسوء حظهم هاجمهم بن شهرة وأتباعه وقتل منهم حوالي خمسين شخص ولم يكن لبوشوشة أي رد فعل.

كما ثار أهل المدينة على الحامية الفرنسية وجرى اقتتال دام يومين 14-15 ماي انتهى بتدمير الحامية الفرنسية وقتل رئيسها الضابط موصلي.[1]

بعدما رتب بوشوشة ومساعده بن شهرة أمور مدينة توقرت، وعين كل من: قبي شيخا على قرية نزلة، وأحمد بن العربي شيخا على توقرت، وبشمال بني قبي أغا عليها، والطالب علي رئيسا على تيسبست وزيروش شيخا على الزاوية، واتجه إلى الجنوب وحاصر زاوية التيجانيين المعارضين له في تماسين، ولكن بدون جدوى، فرحل عنها إلى بلدة عمر وكان بصحبته أسرى توقرت، فأطلق سراحهم جميعا يوم 22 ماي، ماعدا زوجة أحد الأوروبيين، والجندي مبارك بن السعيد الذي اتخذه طباخا له، ومن هناك واصل سيره إلى الجنوب نحو عين صالح، بقصد جمع الأنصار والمؤن، وتدبير الخطط الناجعة للمقاومة ومواجهة الأعداء، بعدما أصبحت له قاعدتان هما: ورقلة بقيادة الناصر بن شهرة، وتوقرت بقيادة أحمد بن العربي.[2]

بعدما قضى بوشوشة مدة معينة في تنظيم أحوال توقرت، كان عليه التوجه إلى الشمال، ولكن لشعوره بالاستعدادات الفرنسية ضده، توجه نحو الجنوب لكي يراقب الأحداث.

كان علي باي في هذه الأثناء يعسكر في عين الناقة ومنها توجه إلى بسكرة يوم 27 ماي إلى الحاكم الفرنسي متهما أولاد ابن قانة بالتواطؤ مع بوشوشة في احتلاله لورقلة وتوقرت ولكن بدون جدوى، فذهب إلى واحة أنسيغة يوم 01 جوان التي تبعد عن واحة مغير بـ 24 كلم التي يتمركز بها أتباع ابن قانة، وفي طريقه استولى على كل ما وجده أمامه، حيث وجد كل قرى نزلة وتبسبت والزاوية وتمرنة خالية من سكانها لأنهم فروا إلى توقرت وذلك بسبب انعدام الأمن والاستقرار.[3]

[1] عمار عمورة، المرجع السابق، ص، 146-147.

[2] أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2004م، ص، 144.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص، 281.

عند وصول علي باي إلى توقرت وفي نيته افتكاكها من بن شهرة وأتباعه، حاصره هذا الأخير ومعه أولاد عمر وأولاد بن زكريا وأولاد نايل[1]، وهاجمها يوم 08جويلية وجرت بين الطرفين معركة كبيرة، قتل وجرح خلالها خلق كثير من الطرفين.

انتهت بفشل علي باي كما واجهه بوشوشة كذلك لما عاد إليها في 10 جويلية، حيث رجع علي باي خائب الأمل إلى بسكرة يوم 13 جويلية، تاركا سكان وادي ريغ[2]وجنوب وادي جدي لمصيرهم، وكانوا فيما مضى تابعين له.[3]

أخذ بوشوشة ينتقل بين توقرتو الدوسن وغيرها من قرى المنطقة، غايته كسب الأنصار والمؤيدين، حيث كان لابن ناصر بن شهرة دور في دعوة الناس إلى حركته والانضمام إليه، كانت القيادة حتى ذلك الوقت لبوشوشة بصورة عفوية وعلى ما يظهر فإن بن ناصر بن شهرة أثبت جدارته في إبراز شخصيته القوية على أرض الواقع وذلك من خلال تأثيره على الثوار وجمع شملهم باسم الجهاد المقدس والروح الوطنية هذا ما سمع باستمرار المقاومة الوطنية.

حاول بوشوشة أن ينتقم من أولاد زكريا الذين كانوا معارضين له فاستمال إليه ثلاثة شخصيات هامة من أولاد جلال ليساعدوه في ذلك وهم: الطيب المومسي والباشا ابن محلة، ومحمد بن الحاج معمر[4]، كما كلف في نفس الوقت ابن ناصر بن شهرة وبعض شعانبة أولاد زربةمن عشائر العزازمة.

فانتزعوا منهم قطعان مواشيهم وإبلهم على بعد 28 كلم من أولاد جلال[5]، واضطر أولاد الساسي وأولاد حركات أن يتعاونوا مع بعضهم ويهاجموا خصومهم بوادي الشعانبة قرب وادي

---

[1] أولاد نايل ومواطنهم الأصلية بالأطلسي الصحراوي والهضاب العليا جنوب التيطري، لهم علاقة بمنطقة ورقلة التي يقصدونها مع حلول فصل الشتاء لتصريف منتوجاتهم، تعرضت هذه القبائل كل إلى حملات عسكرية، ينظر: ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص،25.

[2] واد ريغ: يقع في منخفض مستطيل الشكل يبتدئ من رأس الوادي بأعالي مدينة المغير، وبالضبط بقرية عين الصفراء بلدية أم الطيور ولاية ورقلة عند شط ملغيغ شمالا يمتد على شكل مستطيل على نحو 160 كلم جنوبا إلى غاية قرية قوت تابعة لبلدية بلدة عمر، ينظر: بغداد محمد، المرجع السابق، ص، 30.

[3] عابدي حياة و قلول أمان، المرجع السابق، ص،33.

[4] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين...، المرجع السابق، ص، 230.

[5] أولاد جلال:بطن من قبيلة برارشة و تتالف هذه القبيلة من البطنيين الكبيرين التاليين: سيدي خالد الذي يضم البطون الصغيرة: اولاد بن خليفة، اولاد علي، اولاد داود، اولاد عابد، و بطن اولاد جلال الذي يضم البطون الصغيرة: واد الهامل، قريفات، و اولاد معتوق، ينظر: عابدي حياة و قلول ايمان، المرجع السابق، ص،33 .

النساء في 19 أوت 1871م، ويستعيدوا منهم قطعانهم وأمتعتهم، ولم يفلح بوشوشة في النيل وفقد الكثير من أنصاره ومواشيه وجماله، ورضي بتسلم مبلغ من المال، على أن يرحل عنهم.[1]

2-السيطرة على بني يزقن:

بعد الحوادث التي جرت في ورقلة، والأعمال التي قام بها ابن ناصر بن شهرة على ميدان الكفاح، نلاحظ أن حبه لوطنه يشعره بمسؤوليات كبيرة تجاه شعبه ووطنه ككل، وذلك في كيفية مساعدة الثوار وتدبير أمورهم في توفير الأسلحة والذخيرة، وكانت تونس ومالطا الممول له بواسطة تجار يهود ومالطيين وإيطاليين، في موانئ صفاقس وسوسة ونابل، وكذلك الواحات الشرقية خاصة بوادي سوف.[2]

يظهر أن بن شهرة كان بمثابة اليد اليمنى للشريف بوشوشة، الذي غادر ورقلة واتجه إلى نومرات جنوب العطف بميزاب والتي تبعد عن ورقلة بحوالي 20 كلم، ومعه ما يقارب ثمانية فارس من المخادمة التابعين لشعابنة بوروبة وبعض قبائل الصحاري، وصلها يوم 31 أوت 1871م، وهناك حضر سي الزبير ولد بوبكر ولد سيدي الشيخ مع مجموعة من شعانبة المواضي، وقائد شعابنة برزقة أحمد بن أحمد ذو السمعة الكبيرة لدى سكان الصحراء وانضموا إليه.[3]

ولما قوت شعبية بوشوشة أصبح يطمح في بسط نفوذه مع مختلف المناطق المجاورة له، والسيطرة على أجزاء كثيرة من الصحراء، وذلك بمصاهرة سي الزبير، حيث تزوج من إحدى بنات أولاد سيدي الشيخ، وهي زينب بنت جلول بن حمزة ابنة عمه وتم العرس في بداية سبتمبر 1871م، وهو الزواج الثاني إن لم يكن الثالث على ما يظهر، لأنه تزوج كما ذكرنا سابقا، ودامت الأفراح أربعة أيام وكافأ بوشوشة صهره الجديد سي الزبير، فعينه أغا على ورقلة وسط جو من الزغاريد وذلك في مكان ابن ناصر بن شهرة.

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص، 72.

[2] نفسه، ص، 76.

[3] عابدي حياة و قلول ايمان، المرجع السابق، ص، 34

وفي الرابع من سبتمبر اتجه بوشوشة إلى بني يزقن ليخضعهم، فتبين له بأنهم معارضين له، وهم على استعداد لمواجهته ورد الثأر لإخوانهم الميزابيين الذين نكب بهم في ورقلة[1]، فقاموا بترحيل عائلاتهم وأطفالهم إلى القصور في الجبال المجاورة ليكونوا في أمان، واتجه القادرون منهم إلى الحرب بحي ايدبدابة قرب بني يزقن في جو من الحماس، فخاف بوشوشة من مغبة هذا الأمر وتظاهر بإعطائه لهم مهلة ثلاثة أيام ليتدبروا أمرهم ويفكروا جيدا في الأمر، وعاد هو إلى ورقلة عبر زلفانة، وقسم قواته إلى ثلاث فرق:

- فرقة اتجهت إلى تاجرونة غرب الأغواط.
- فرقة اتجهت إلى وادي الشبكة شمال ميزاب.
- فرقة بقيادته أغار بها على سكان غرداية وبريان وتاجرونة.[2]

لم يتغير موقف الميزابيين، وكانوا دائما على استعداد لمحاربة بوشوشة، وهو نفس الموقف الذي اتخذوه ضد محمد بن عبد الله، لما رأى بوشوشة هذا الاستعداد لهم عاد إلى ورقلة، حيث استقبله صهره سي الزبير ورفيقيه الكبيرين بن الناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله وبعض زعماء أولاد خليفة بالشريعة في تبسة.[3]

المبحث الثالث: مرحلة الضعف والتراجع:

في الوقت الذي كان فيه الشريف بوشوشة ومساعده بن شهرة منشغلين بثورتهم ضد من يقف في وجههم ويعارضهم، كانت فرنسا قد استعادة قوتها من جديد وركزت على تحطيم العائلات ذات النفوذ الكبير، وعدم الوثوق في ولائها لها كعائلة ابن قانة التي كانت تطمع في الرجوع إلى سالف عهدها في سوف و تقرت و ورقلة.[4]

---

[1] عابدي حياة و قلول ايمان، المرجع السابق، ص، 102.

[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص، 65.

[3] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 118.

[4] صالح فركوس،ادارة المكاتب و الاحتلال االفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد1844-1871، منشورات جامعة باجي مختار-عنابة،2006 ، ص ص 269-270.

1-فقدان السيطرة والانسحاب نحو الجنوب:

إن اهتمام فرنسا بمقاومة المقراني والحداد بالشمال سنة 1871م، لم يمنعها من متابعة أمر بوشوشة ومسانده بن شهرة، وذلك بتكليف أعوانها بملاقاته في الجنوب ومراقبة تحركاته، ومن هؤلاء القائد بولخراص بن قانة وكذلك قبيلة السعيد عتبة، اللذان هاجماه بقواتهما يوم 07 نوفمبر في مكان يدعى (كويف جلبة) بين العالية والقرارة بوادي ريغ سنة 1871م، حيث تعرض إلى جروح بليغة، وقتلوا له ستة وخمسين من رجاله، واستولوا على معظم زمالته.[1]

وبعد هذه المعركة حمل بوشوشة إلى حاسي القطار للعلاج من جروحه الخطيرة، ومن هناك اتجه إلى حاسي بوروبة جنوب ورقلة، بقي بها مدة شهر نوفمبر ومطلع ديسمبر، وبعد أن شفي عاد إلى نشاطه، وفي يوم 17 ديسمبر كون خمسة كتائب صغيرة من قواته بحاسي بورو بة:

- فرقة بقادته هو وصهره سي الزبير
- وفرقة من المخادمة.
- وفرقة من الشعانبة
- والرابعة بقيادة بن ناصر بن شهرة
- وأخيرا فرقة المقرانيين الفارين من الشمال.

واتجهوا كلهم إلى حاسي تامزقيدة .[2]

كانت القوات الفرنسية تطاردهم، و ذلك بعد أن كلف الفرنسيون أعوانهم لمحاربة بوشوشة حيث جندوا قواتهم لاسترجاع مدينة توقرت وتم ذلك في 27 ديسمبر 1871م، وفي 02 جانفي 1872م انتزع الجنرال دولا كرو ا[3] Delacroix مدينته ورقلة من أنصار بوشوشة، وفي يوم 09 جانفي التحم الثوار بالقوات الفرنسية التي كانت تلاحقهم، واستولى الفرنسيون خلالها على معظم زمالة بوشوشة

[1] عابدي حياة و قلول ايمان، مقاومة الجنوب الشرقي ...، المرجع السابق، ص، 46.

[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص، 78.

[3] Delacroix: ولد في 10مارس 1855م بباريس، تخرج برتبة ضابط صف 1878، اشرف على عمليات حملة تونس سنة 1881م. التحق بادارة شؤون الاهالي 1883م و لم يتركها الا في 1900، حيث عينه الحكم العام جونار jonard رئيسا على مصلحة شؤون الاهالي، توفي 21 مارس1910، ينظر عابدي حياة و قلول ايمان، المرجع نفسه ، ص، 39 .

بما فيها من الأغنام والجبال والخيام والحبوب وقتل عدد كبير من الثوار من بينهم أحد أحفاد ناصر بن شهرة.

وبعدها توجه بوشوشة ومن معه إلى الجنوب الغربي نحو قورد عيش، وكان ذلك يوم 10 جانفي وهناك انفصل عنه الثوار إذ اتجه الشعانبة إلى عين الطيبة في الجنوب، وصهره سي الزبير إلى عين صالح بعد أن فقد كل شيء، عدا امرأتين وأربعة من الجمال، واتجه ابن ناصر بن شهرة بالمقرانيين إلى عين الطيبة جنوبا محاولين العبور إلى التراب التونسي، وكان له الفضل في انضمام خمسمائة لاجئ مقراني يوم 17 جانفي 1872م إلى جانبه.[1]

2-مساندة بن شهرة للمقرانيين وعلاقتهم ببوشوشة:

من الثورات التي تزامنت مع ثورة الشريف بوشوشةو ابن الناصر بن شهرة، هي ثورة المقراني والحداد لسنة 1871م، فالمقراني هو محمد بن الحاج أحمد المقراني من عائلة غنية من قلعة بني عباس، كان خليفة على مجانة في منطقة واسعة حول برج بوعريريج، وعندما توفي 1853م، استخلف الفرنسيون ابنه محمد المقراني على منصبه بلقب الباشاغا، وشرعوا في مضايقات وإضعاف نفوذه منذ سنة 1857مما نتج عنه إعلان ثورته.[2]

أما الشيخ الحداد فهو محمد أمزيان بن علي الحداد شيخ الطريقة الصوفية الرحمانية، ولد ببلدة صدوق ببلاد القبائل الصغرى، كان زعيما دينيا بالمنطقة[3]، لعب دورا رئيسيا في ثورة المقراني وتبعه ما يزيد عن 150 ألف من أتباعه بالإضافة إلى ابن ناصر بن شهرة الذي لم يتوان في الانضمام إليها، وهو الذي مهد الطريق لمحي الدين بن الأمير عبد القادر عندما قدم إلى منطقة الحدود أوائل سنة 1871م.[4]

[1] عبادي حياة وقلول إيمان، المرجع السابق، ص 41.

[2] إبراهيم لونيسي، القضايا الوطنية في جريدة المبشر 1847م-1870م، مذكرة الماجستير، في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1993م-1994م، ص، 198.

[3] جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص ،202.

[4] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر خلال القرنين 19 و 20، المرجع السابق، ص، 222.

ولا ننسى أن الأحداث التي كانت بفرنسا أثرت على الثوار للإعلان ثورتهم، بالإضافة إلى تصاعد نفوذ المستوطنين في الجزائر، وتعرض سلطة الباشاغا محمد المقراني إلى اهتزازات دفعته إلى الاستقالة من منصبه كباشاغا في فيفري 1871م، وبعد محاصرة مدينة برج بوعريريج امتدت الثورة إلى مختلف مناطق الوطن وشملت مدن مليانة شرشال وجيجل والقل وبوسعادة ومسيلة وباتنة وتوقرت وبسكرة.[1]

وخلال هذه الظروف ظهرت خلافات بين زوايا منطقة القبائل، منها الزاوية الرحمانية بصدوق وشلاطة وإيلولة، وانقسموا فيما بينهم الى من يكون ضد أو مع ثورة المقراني،[2] فأعلن الشيخ الحداد جهاده إلى جانب المقراني في 08 أفريل سنة 1871م، وانضم الكثير من أتباع الطريقة الرحمانية إلى صفوف الثورة كان للإخوان الرحمانيين دور بارز في ثورة المقراني، حيث خاضوا معه عدة معارك حقق فيها انتصارات كبيرة أخافت الإدارة الاستعمارية وأصبحت تشكل خطرا على مصالحها.

إلا أن الخلافات عادت لتطفوا على السطح وقد غدتها الإدارة الفرنسية بطرقها الخاصة بعد استشهاد بطل المقاومة الباشاغا المقراني بمعركة وادي سوفلات قرب عين بسام في 05 ماي 1871م على يد أحد الخونة التابعين للإدارة الفرنسية، فخلفه أخوه بومرزاق في قيادة الثورة.[3]

نحن ندري أن المقرانيين كان لهم امتداد واسع في مختلف المناطق، وأهم معركة مثلث نهاية نفوذهم وقوتهم بالشمال هي معركة قبر السلوقي في يوم 18 أكتوبر 1871م بالقرب من آثار قلعة بني حماد في سفح جبل الجفان بجبال عياض، حيث نتج عنها فقدان المقرانين لمعظم ما كان معهم من أمتعة وحبوب وأغنام، حيث واصلوا سيرهم نحو الجنوب الصحراوي.[4]

[1] جوليان شارل، المرجع السابق، ص ، 202.

[2] نفسه، ص، 215.

[3] بلهادي رزيقة وكرشة زوبيدة، السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ما بين 1830م-1871م، شهادة ليسانس، إشراف كلاخي الياقوت، 2010م-2011م، ص، 64.

[4] مولود قايد، ثورة سنة 1871م ونتائجها، مجلة الأصالة، العدد 23، 1971، ص، 61.

يذكر رين أنه يوم 20 أكتوبر وصل المقرانيين إلى ورقلة، واستقبلهم كل من بوشوشة والناصر بن شهرة والزبير من أولاد سيدي الشيخ، واتفق رأيهم على الهجرة إلى البلاد التونسية.[1]

وكان الفضل الكبير لابن ناصر بن شهرة في نقل حوالي 500 لاجئ مقراني إلى البلاد التونسية حيث بلوغ الزاوية الرحمانية بنفطة عندها تخوفت السلطات الاستعمارية من تمركزهم، فقامت بأمر باي تونس بضرورة تشتيتهم في مختلف المناطق لتحطيمهم.[2]

وفي 17 ديسمبر عسكر أولاد مقران بحاسي بوروبة مع بن ناصر بن شهرة ومن هناك انتقلوا إلى حاسي قدور جنوبا، ثم إلى حاسي تامزقيدة، حيث اشتركوا في 09 جانفي 1872م في مواجهة القوات الفرنسية التي داهمت قافلة بوشوشة مما اضطر إلى الاستغناء على الكثير من الأمتعة حتى ينجو بحياته وحياة من معه، غير أن الفرنسيون أسروا شخصين من قافلة المقراني وهما عبد العزيز بن محمد قاضي واد ساحل قبلي ومحمد العربي بن حمودة قاضي مجانة، واستولوا على مجموعة كبيرة من أموال وأغنام السعيد بن بوداود المقراني[3]، وخسر بوشوشة من ورائها أنصاره وتشتت من حوله الثوار، واعتقد أن المقرانين لهم دخل في ضياعه لزمالته، واتهمهم بذلك خاصة لما تعرض لمحاولة اغتيال بطعنة خنجر في 11 جانفي 1872م، وهو في خيمته من طرف أحد أصدقائه المدعو مولاي العربي من أعيان ورقلة ولكنها باءت بالفشل.

هذه المؤامرة التي تعرض لها بوشوشة كانت لها عدة شكوك من بينها حادثة بومرزاق لما وقع أسير في يد الفرنسيين، راح معلنا خلالها الجنرال دولاكروا Delacroix بأن بومرزاق هو الذي حاول قتل بوشوشة[4] وتبين من خلال ذلك أن هذا الأخير اغتيل من طرف بومرزاق الذي تم اعتقاله يوم 20 جانفي سنة 1872م بواحة الرويسات قرب ورقلة.[5]

---

[1] Luis Rim, Op cit, p: 588.

[2] عابدي حياة و قلول إيمان، المرجع السابق، ص، 40.

[3] يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد، 1871م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص، 305-307.

[4] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص، 79.

[5] مولود قايد، ثورة 1871م، مجلة الآصالة، المرجع السابق، ص، 62.

ونلاحظ في هذه الفترة أن الإشاعات كثرة على ابن ناصر بن شهرة الذي كان يعتبر بمثابة المحرك والمنسق لكل الثورات، حيث أتهم هو الآخر باغتيال بوشوشة حتى يستولي على مبلغ من المال أرسل إليه من تونس، يقدر بثمانين ألف فرنك قديم، إلا أن هذه الرواية فندها رين والذي أكد أن المبلغ كان مع ابن ناصر بن شهرة، وكان يمكن أن يغريه دون محاولة الاغتيال وأشيع كذلك بأن زوجته زينب بنت جلول هي التي دفعت مولاي العربي الورقلي لمحاولة اغتياله.[1]

كل هذه الإشاعات تبقى مجرد افتراضات قائمة على الشك مضمونها تشويه سمعة المناضلين، وعدم إيمانهم بالجهاد في سبيل الوطن.

3-مرحلة ضعف المقاومة:

بعد إلقاء القبض على بومرزاق يوم 20 جانفي 1872م، قاد ابن ناصر بن شهرة باقي المقرانيين من عين الطيبة في أعماق الصحراء إلى داخل البلاد التونسية.

وبعدها بمدة قصيرة قام بوشوشة بتنشيط حركته، حيث اتجه إلى كرزار ومنها إلى توات، وفي تلك الفترة ظهر وجهان جديدان هما محمد ابن إدريس الذي عينوه أغا على ورقلة وتقرت، والعربي المملوك الذي عينوه قائدا على سوف تابعا لابن إدريس إذ أن هذا الأخير كان من الوطاية القريبة من بسكرة، وكان من خرجي مدرسة قسنطينة خلال الستينات، فقد كان متفرنسا.[2]

أما العربي المملوك فهو إيطالي الأصل اعتنق الإسلام وأتقن اللغة العربية كان من جنود الصبايحية، عينه الجنرال دولا كروا في المنطقة بعيدا عن النزاعات القبلية والعائلية وذلك يوم 22 ماي 1872م.[3]

ظهر بوشوشة في أواخر شهر جويلية 1873م بالمنيعة وأغار على قطعان أولاد يعقوب، بين الأغواط والبيض وجبال عمور، واقترب من ورقلة فتعرض له الأغا الجديد وكلف أخاه السعيد ابن إدريس بمتابعته وملاحقته، فانسحب إلى الخنافس وواجه ابن إدريس في حاسي الناقة خلال شهر

[1] Luis Rim, op, cit, p: 628-686.

[2] يحي بوعزيز، ثورات القرنين 19-20، المرجع السابق، ص، 248.

[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص، 200.

ديسمبر 1873م فانتزع زمالته وزوجته زينب بنت جلول التي طلبت أن يعيدها إلى أهلها أولاد سيدي الشيخ.[1]

كانت هذه الحادثة نكبة ثانية لبوشوشة إلى جانب نكبته الأولى في مطلع 1872م مع المقرانيين، اتجه بوشوشة من حاسي الناقة إلى جنوب شرق عين صالح، واستقر مدة من الزمن في هضبة مويدير دقانت وعلم هناك بأن زوجته التي انتزعها منه ابن إدريس قد اقتيدت إلى تماسين، وسلمت إلى أعدائه التجانيين، فاتجه هناك على رأس مائتين وخمسين فارسا ووصل إلى صاحبة الزاوية في فيفري 1874م، واستولى مع مائتين وخمسين هودجا عثر عليها من المراعي المحيطة بالقرية وكان الجنرال ليابر Liabre يعسكر آنذاك في مطماط شرق الهاجيرا، قرب ذراع البقيل بوادي ريغ، فوجه السعيد بن إدريس لملاحقة بوشوشة فعثر عليه في 19 فيفري في ربوات حاسي بوكلوة، وتواجه معه في معركة محدودةلم يستطع أن ينال منه فعاد إلى ورقلة، حيث جهزت له السلطات الفرنسية قوات أخرى كبيرة العدد وشرع في ملاحقته ابتداء من مارس 1874م،[2] وكان يعسكر في كدية بويجيفين في وادي عقاربة.

عمل ابن إدريس على الإطاحة ببوشوشة ومحاصرته في 24 مارس من نفس السنة وتمكن من أخذ معظم زمالته وأمواله، وأسر له عدد كبير من أتباعه وتم أسره على يد المسمى يعج بن قدور أحد رجال السعيد بن إدريس في معركة الميلوك جنوب عين صالح في 31 مارس 1874م.[3]

بعد وقوع بومرزاق وبوشوشة في الأسر، واستولى الجيش الفرنسي على مدينة تقرت وورقلة، يئس الناس من نجاح الثورة، وتفرق المجاهدون في أنحاء البلاد، فمنهم من لجأ إلى تونس، ومنهم من ذهب إلى طرابلس الغرب، وبقي ابن الناصر بن شهرة وحده ينازل جيش الاحتلال.

كان المترجم له بن ناصر بن شهرة يشن بعض المناوشات على المستعمر من الجريد ونفزاوة ثم دخل مدينة تونس لاجئا، وفي 27 ربيع الثاني 1292هـ 02 جوان 1875م أرغمه باي تونس على

[1] محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب، مائة عام من المقاومة 1830م1930م، ب ط، دار السبيل، د ب، 2008م، ص، 371.

[2] محمد العربي الزبيري،منطقة الزاب...، المرجع السابق، ص، 371.

[3] يحي بوعزيز، نماذج من مقاومة سكان الواحات، المرجع السابق، ص 126.

الرحيل، فركب الباخرة من مرسى حلف الوادي إلى بيروت، وكان برفقته رفيقه في الجهاد الشيخ محمد الكبلوتي، واستقر إلى جانب محي الدين بعض الوقت.[1]

وفي صبيحة يوم 29 جوان 1875م نفذ حكم الإعدام على الشريف بوشوشة بمعسكر الزيتون في ضواحي قسنطينة، واستشهد رحمه الله.[2]

وفي بيروت استقر ابن شهرة بجوار صديقه الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر إلى سنة 1883م، كما أنه اتصل بالأمير عبد القادر بدمشق، فتوسط له لدى الحكومة التونسية لبيع ما كان قد تركه بتونس، وكانت وفاته –رحمه الله- في السنة التي بعدها، فيكون عمره يومئذ ثمانين سنة.[3]

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 186

[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 81.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، نفسه، ص، 186.

خاتمة

خاتمة

تعتبر شخصية المناصل والمجاهد الناصر بن شهرة من الشخصيات المهمة في تاريخ المقاومة الجزائرية، وذلك أنه تميز بصفتين:

01-نفوذه السياسي وانتمائه إلى عائلة متميزة بالحضور الديني الذي أكسبها إحترام الجميع، وجعلها تكون في القيادة التي توارثتها فيما بينها عبر أجيال.

02- حضوره في أغلب الثورات والمقاومات التي غطت فترة طويلة من الزمن خلال القرن 19م، مشكلة بذلك حجر العثر أمام العدو الفرنسي.

وقد إستمد ذلك من البيئة الصحراوية الصعبة التي عاش وترعرع فيها وذلك أنه ابن منطقة عريقة بالجنوب الجزائري، الأغواط التي تعتبر من المناطق الصحراوية الشهيرة بواحاتها الواسعة ومناظرها الخلابة وبساتينها المتعددة.

اشتهر سكان الأغواط بالنزعة القبلية وبوازع الوطنية وإيمانهم بوحدة القبيلة حفاظا على نفوذها وهيبتها، وتوارثهم للحكم والإنفراد به وعدم الخضوع لأي سلطة أخرى مثل ما حدث خلال العهد العثماني، أو خلال مرحلة الأمير عبد القادر الذي رفضوا الخضوع له وعدم طاعته والإمتثال لأمره إلا عنوة.

ساعدت هذه الظروف على تكوين شخصية الناصر بن شهرة الذي دفعته نزعته الوطنية وفطرته الدينية إلى حب الوطن والدفاع عنه وتجسد ذلك من خلال عدة سمات:

-تحلى الناصر بن شهرة بصفة الزهد في نضاله فلم تهمه زعامة صوفية ولا حربية وفضل أن يكون مستشارا بدل قائد لنصرة القضية الوطنية في إطار مشاركته بمختلف ثورات الجنوب الجزائري.

- نفوذه الديني وحنكته السياسية وخبرته في معرفة الطرقات والمسارات وكل ما تعلق بجغرافية المناطق الصحراوية أهله لكي يكون في القيادة.

- الروح الوطنية التي كان يتمتع بها الناصر بن شهرة جعلته يجوب مناطق الوطن خاصة الصحراوية منها من شرقها إلى غربها.

- لتحقيق غايته وهدفه النبيل جعل السلاح وسيلة والجهاد راية، متخذا أسلوب حرب العصابات والهجومات الخاطفة التي تميز بها خلال عملية الكر والفر التي كان يقوم بها لمباغتة العدو منطلقا لنضاله.

- نلتمس من خلال تحالفه مع محمد بن عبد الله في الأغواط أنه كان بمثابة المساند له، انتقل معه إلى مدينة القرارة للتسليح والتموين، وساعده في إخضاع القبائل المتمردة واستمر في مساعدته له في عدة وقائع ضد العدو الفرنسي و قواته ببريزينةو الرويسات سنة 1853.

-دعم ثورة أولاد سيدي الشيخ و صخر كل إمكانياته لمساندتهم فور دخوله للجزائر سنة 1864 أين التحق بسي الأعلى في ورقلة بعد مجيئه من تونس وكان في مقدمة الصفوف ،وفي 06 أوت 1864 تقدم مع جيش عظيم من الفرسان إلى أرض طاقين، ونظرا لحنكته السياسية كانت المعركة ناجحة، وكان لهذا النجاح أثر إيجابي على الناصر بن شهرة لمواصلة النضال معهم.

- استفاد سي الأعلى من مهارته العسكرية ومعرفته الجغرافية، حيث كان بمثابة المرشد له كما اعتمد عليه في العديد من الهجومات ضد العدو الفرنسي كحملة الضاية وسعيدة 1865-1866.

- طبق الناصر بن شهرة إلى جانب سي الأعلى استراتيجية حربية تميزت بالتنوع بين استهداف عملائها من الجزائريين أو ضرب مصالحهم الاستطانية شمالا كما حدث بنواحي سعيدة وسيدي بلعباس.

- سعى لنشر حسه النضالي والروحي خارج الجزائر باتجاه تونس التي توجه إليها بعد ضعف حركة محمد بن عبد الله ومن هناك بقي يدرس الأوضاع في الجزائر ويخطط، وجعل من تونس مسرحا لمواصلة نشاطه الثوري وذلك بتكوين أنصار وأعوان جدد من أبطال تلك الجهات من اللاجئين الجزائريين، وأخذ من هناك يشن الغارات على الفرنسيين وأعوانهم داخل الحدود الجزائرية.

- خلال مشاركته لزعماء أولاد سيدي الشيخ لم يقطع صلاته بتونس وبقي على اتصال مع قبائلها يتردد عليهم بين الفينة والأخرى يدعوهم للمشاركة في الثورة ويطلب منهم دعم المجاهدين الأشقاء في الجزائر كما حفزهم على التمرد والإنتفاضة ضد السلطات الفرنسية.

- كثرة تردد الناصر بن شهرة على تونس لجمع الأنصار وتدبير الخطط وتوفير المؤن متنت علاقته مع باقي اللاجئين الجزائريين بالجريد، وعمل على تنسيق العمل الثوري معهم ومن بينهم الطيب بن عمران الشعانبي من الوادي ومحمد بوعلاق زعيم أولاد يعقوب، كما تمكن من توطيد علاقته مع الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي زعيم ومؤسس زاوية نفطة الرحمانية منذ حوالي(1843-1864)، الذي حول زاويته إلى ملجأ للاجئين والمطرودين الجزائر يين.

- إلتحاق الناصر بن شهرة بالمجاهد الشريف بوشوشة وتوحيد الجهود معه للكفاح وجمع شمل الجاهدين وقيادة العديد من الحملات العسكرية ضد الفرنسيين ليضيف بمساندته لبوشوشة قوة جديدة مكنته من عرقلة الفرنسيين وضمن استمرارية المقاومة الوطنية.

- يمكن اعتبار مساندة الناصر بن شهرة لمختلف زعماء المقاومة الجزائرية بالجنوب فرصة لتوسيع النطاق الجغرافي للمقاومة وعرقلة الفرنسيين ومنعهم من الزحف والتغلغل في صحراء الجزائر.

- بإنتقال الناصر بن شهرة من بمنطقة إلى أخرى لجمع المساندين من القبائل ومختلف المناطق الصحراوية أكسبه حب الجميع واحترامه، وجعله في مقدمة القيادة.

- تفاعل بن الناصر بن شهرة الإيجابي مع كل جهد يستهدف جمع شمل الجزائريين وتوحيدهم ضد فرنسا وذلك من أجل تحقيق النصر التخلص منها.

- حرص الناصر بن شهرة من خلال مشاركته في الثورات على إستمرارية المقاومة حيث نجد أنه لا تكاد تنتهي ثورة حتى ظهر في مقاومة أخرى حاملا راية الجهاد في أي وقت وفي كل كان ليؤكد على مواصلة النضال.

- تعد مقاومة بن الناصر بن شهرة من أهم المقاومات التي عرفها تاريخ الجزائر خلا القرن 19، والتي تم ذكرها في الكتابات الفرنسية منها كتابات لويس رين الذي وصف الناصر بن شهرة بملاح الصحراء، كما نجد بعض التقارير الفرنسية الأخرى وصفته بالمتعصب وأن نشاطه يندرج ضمن الحركات العشوائية غير المنظمة وأنه يهدف من خلال نضاله لتحقيق مصالحه الشخصية إلا أننا نلتمس من خلال الوقائع التاريخية أن ثورته انطلقت باسم الجهاد المقدس عكس ما يدعيه الفرنسيين.

- لم يعرف الناصر بن شهرة طيلة نضاله الكلل والملل بل أكد في كل مرة على استمرارية عجلة المقاومة، وعلى الرغم من جهاده الذي دام ما يقارب 25 سنة نجد أن مقاومته قد نسيت ولم تحظى بأي اهتمام تخليدا للجهد الذي قام به.

- نأمل في الأخير أننا من خلال هذه التجربة العلمية قد وفقنا إلى حد ما في التعريف بمسيرة هذا الرجل ونضاله لتكون كبداية لدراسات علمية أكاديمية أخرى.

الملاحق

الملحق رقم 01: مدينة الاغواط سنة 1858م

مدينة الأغواط سنة 1858 م

بسام العسلي ، المرجع السابق ، ص40

الملحق رقم 02: خريطة بعض القبائل و مناطق الجزائر

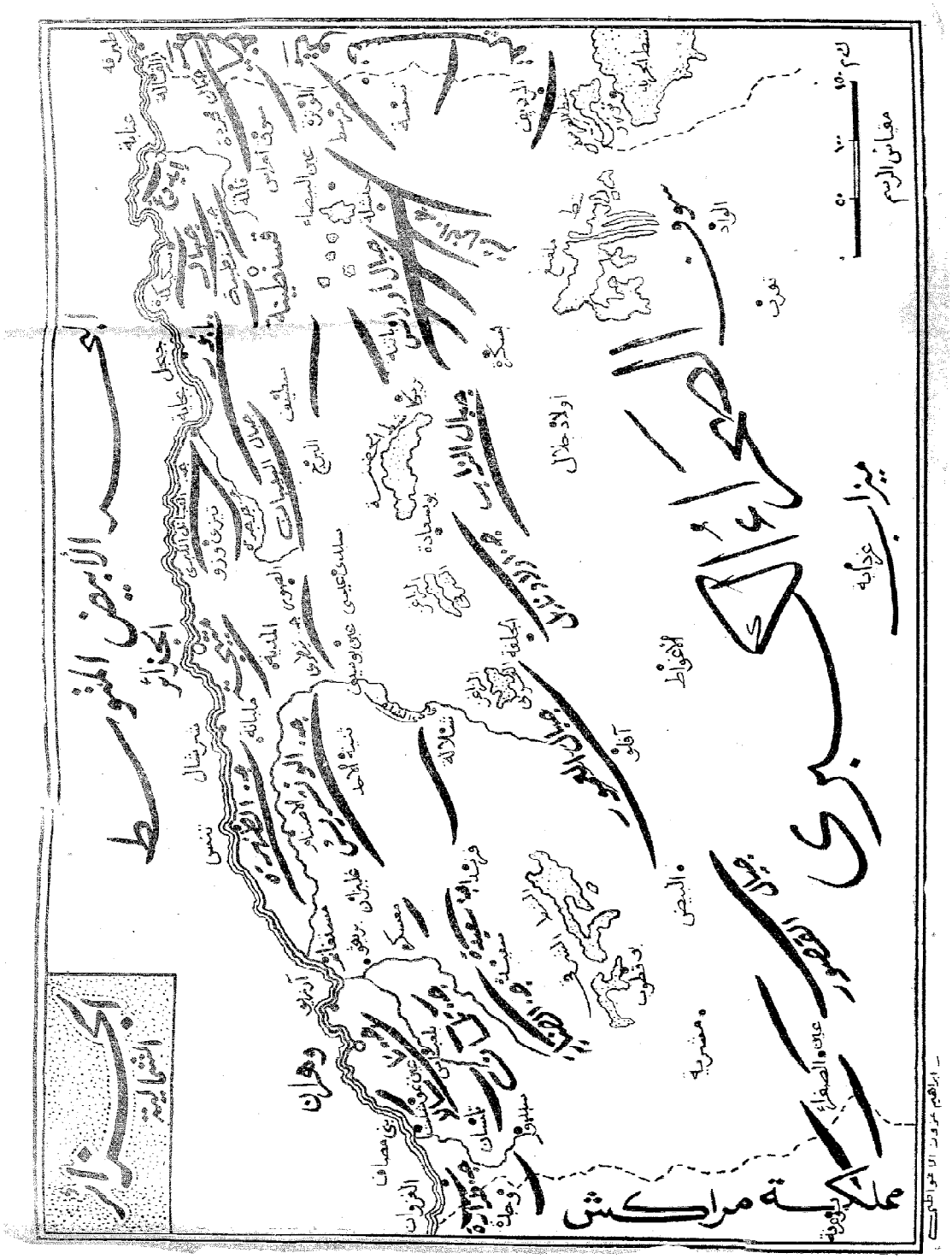

احمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، المرجع السابق ، ص55.

الملحق رقم 03: تحركات اولاد سيد الشيخ بالصحراء الشرقية ورقلة

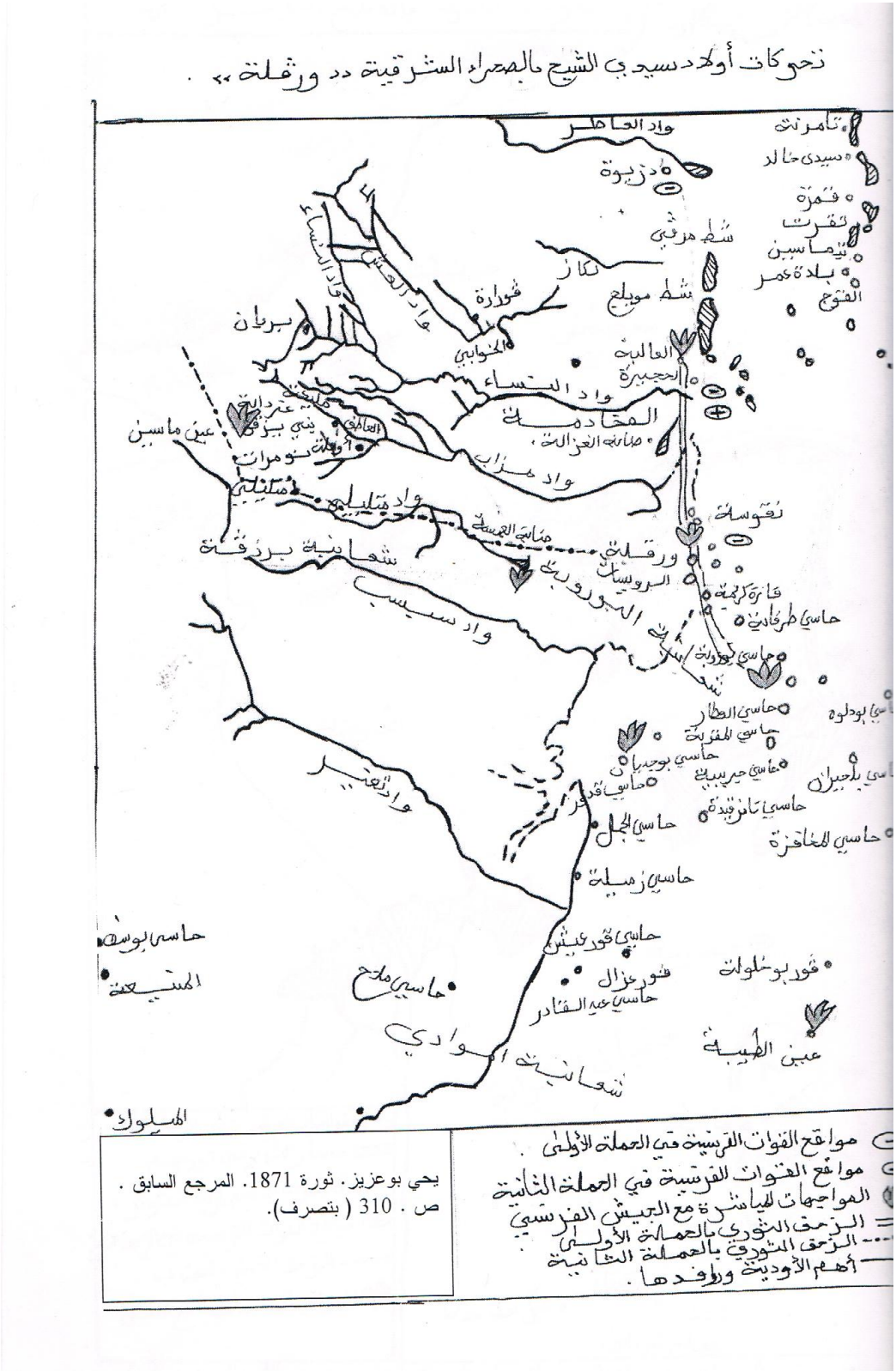

يحي بوعزيز. ثورة 1871. المرجع السابق. ص. 310 (بتصرف).

الملحق رقم 04: تحركات ولاد سيد الشيخ في المرحلة الأولى 1864

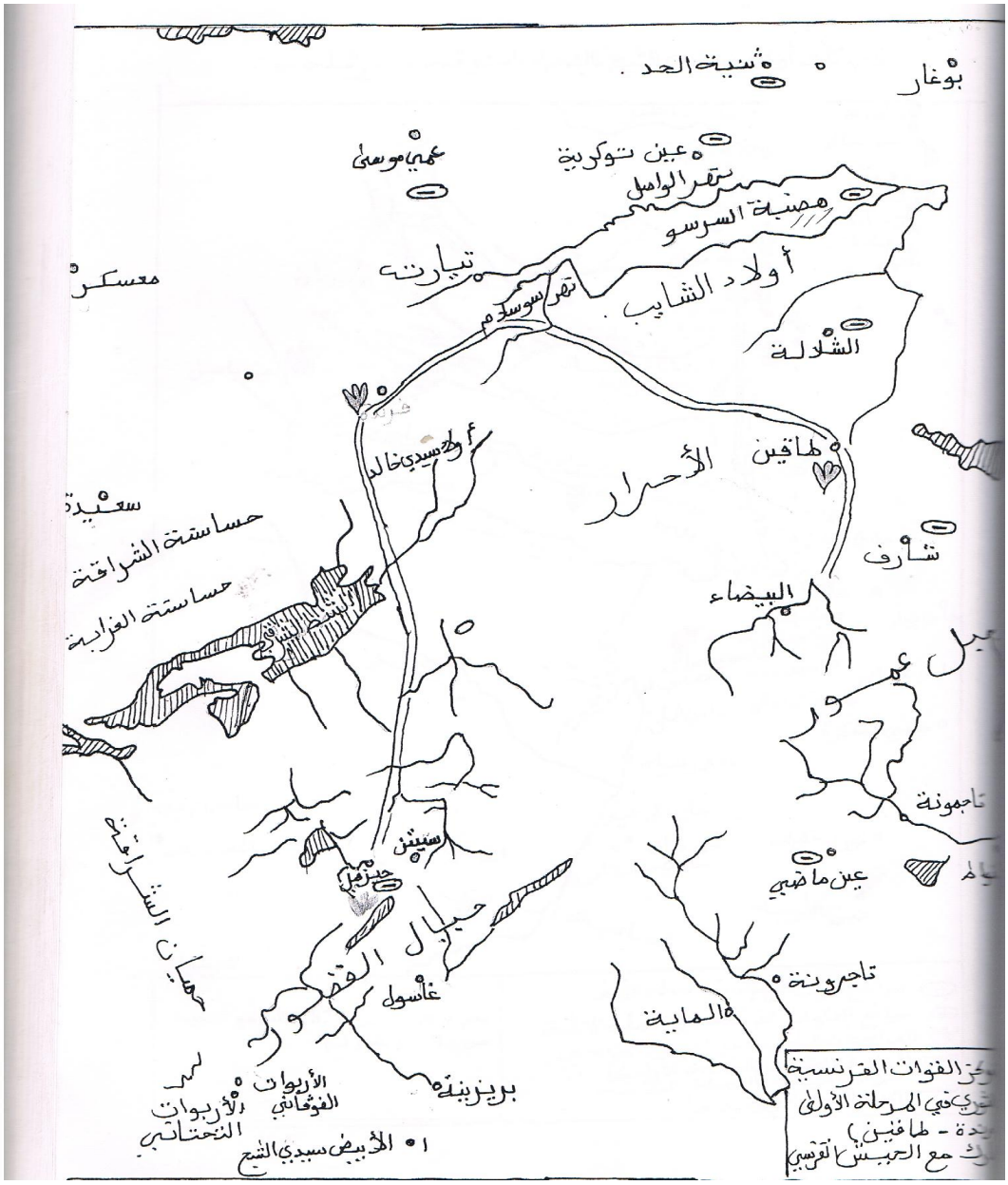

فاطمة حباش ، سي الاعلى ، المرجع السابق ، ص314.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

بالعربية:

1. أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تر: محمد العربي الزبيري، الجزائر، د ط، 1973م.

2. أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في اتسام الشعر الوهراني، تف: المهدي البوعبدلي، ط1، قسنطينة، 1973م.

3. أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تق: محمد بن عبد الله.

4. الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تح: محمد الصغير بناني وآخرون، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2010م.

5. الحاج بن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، تأو ، تح: أبو القاسم سعد الله، مجموعة الرحلات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2010.

6. حسن بن محمد الوزان الغابي، ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، مج 01.

7. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، تص: عبد العزيز بوتفليقة، ب ط، الجزائر 2006.

8. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر وتق: أبو القاسم سعد الله، تونس، 1974.

9. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، مج 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2006.

10. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، المجلد 2، 1661م-1663م، تح و تق: سعيد الطاهري، ط1، دار السويدي، 2006.

11. العوامر إبراهيم محمد المياسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، تالة الجزائر، ط02، 2009م.

12. فيروشال، الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإطالي 1911م، تر: أحمد عبد الكريم الوافي، جامعة فال يونس، بنغازي، ط03، 1994م.

13. كمال إبراهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، محمد البشير شنبتي ورشيد بوروبية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

14. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج3، ط1، الإسكندرية، 1903م

15. المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود لإي أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن 19، تح: يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

بالفرنسية:

16. Dépont Octove Xariercoppolane des confrérrier Religieuses Musulmases Alger, Imprimeir Lilirairo uditeur, 1897.

17. Rim Luis, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, imprimeur, Lilirairo uditeur, Alger , 1891.

ثانيا: المراجع:

أ - العربية:

18. - محمد العربي المنور ، ثورات القرن التاسع عشر ، ط1، الحزائر ، 2013.

19. بحوص مالك ، ثورة أولاد سيدي الشيخ سي سليمان بن حمزة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، سنة 2009م.

20. بشير كاش الفرجي، مختصر وقائع واحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر ، 1830-1962،ط1، رويبة ، 2007

21. بطاش علي، لمحة عن تاريخ القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م، دار الأمل، دب، ط02، 2007م.

22. بغداد محمد، ثمانين جوهرة الصحراء، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2010م.

23. -بلاح البشير تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1989،ج1،ط1،الجزائر، 2006.

24. بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار الجزائر ووهران وإسبانيا وفرنسا في القرن 19، تح: يحي بوعزيز ، ج1، ط1، بيروت، 1990.

25. بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1862م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط02، 2005م.

26. بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة، ومقاوم 1830م-1848م، دار الحكمة، الجزائر، د ط، 2010م.

27. بوعتو بشير: التصوف في الجزائر، دراسة وصفية تحليلية للطرق الحسبية والجبرية والرحمانية والأويسة، دار السبيل للنشر والتوزيع.

28. بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر في القرنين 19-20، ج03، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط02، د س.

29. بوعزيز يحي ، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد، 1871م، ج02، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009م.

30. بوعزيز يحي ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د ط، 1986م.

31. بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج02، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009م.

32. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الحرة 1830م-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007م.

33. بوعلام بسايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي بالبيض، والقلم 1830م-1954م، وزارة الثقافة الجزائر، د ط، 2007م.

34. التليلي العجلي، طرق الصوفية في الاستعمار الفرنسي، ج2، ط1، تونس، 1992.

35. جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير، العصور الحديثة، وهجوم الإستعمار، ج3، ب ط، بيروت، 1981.

36. جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصر، الغزو وبدايات الاستعمار1827م-1871م، ج1، دار الأمة، د ب، ط1، 2008م.

37. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج05، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

38. حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، 1808م- 1847م، ج02، دار الرائد للكتاب، طذ02، الجزائر، 2005م.

39. حرز الله محمد العربي، منطقة الزاب، مائة عام من المقاومة 1830م-1930م، دار السبيل، د ب-د ط، 2008م.

40. خليفي عبد القادر ، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830م-1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 2010م.

41. الزبيري محمد العربي، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1972م.

42. زوزو عبد الحميد ، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837م-1939م)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م.

43. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية 1830-1900، ج1، لبنان، 2000.

44. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ط 1، 2011.

45. سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر 1830-1962، ط خ، دار العرب المغرب الإسلامي، 2007.

46. سعد خليل القزيري، المحافظة علىالمدن القديمة، ب ط، بن غازي، ليبيا، 2007.

47. سعيدوني نصر الدين، عصر الأمير الجزائري ، ط1، مؤسسة الجزائر عبد العزيز.

48. الصديق محمد الصالح ، الجزائر بلد التحدي والصمود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 2009م.

49. الصديق محمد الصالح ، كيف تنسى وهذه جرائمهم؟، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

50. عباد صالح ، الجزائر خلال العهد العثماني، 1514-1830، ط2، الجزائر، 2007.

51. -عبد المنعم الحسني القاسمي، الطريقة الخلوئية الرحمانية،الأصول و اللأثار منذ ظهورها ألى غاية الحرب العالمية الأولى،دار الخليل، د ط، 1990.

52. عبد الوهاب ابن منصور، قبائل المغرب، ج1، ط1، الرباط، 1388هـ-1968م.

53. العسلي بسام ، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط03، 1990م.

54. العسلي بسام، جهاد الشعب الجزائري، دار الرائد، ط خ ، 2010.

55. علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، تق و تح: بوعزة، ب ط، د ب، 2008.

56. عمورة عمار ، الجزائر، بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، د ط، الجزائر، د س.

57. عميراوي أحميدة، وزاوية سليم، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائر 1844م-1916م، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009م.

58. فركوس صالح، إدارة المكاتب والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844م-1871م، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د ط، 2006م.

59. فركوس صالح، الحاج أحمد باي، قسنطينة 1826م-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007م.

60. قداش محفوظ ، الأمير عبد القادر، د ط، الجزائر، 2002.

61. قداش محفوظ ، الجزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830م-1954م تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر ، الجزائر، دط، 2008م.

62. محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب، مائة من المقاومة، 1830-1930، د ب ، 2008.

63. المدني أحمد توفيق ،كتاب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، 2010م.

64. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، 2010م.

65. مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837م-1934م، دار هومة، الجزائر، د ط، 2005م.

66. مياسي إبراهيم ، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012.

67. مياسي إبراهيم ، مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830م-1962م، دار هومة، الجزائر، د ط، 2007م.

68. مياسي إبراهيم ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007م.

69. ولد الحسن محمد الشريف، من المقاومة إلى الحرب من اجل الاستقلال 1830-1962، د ط، الجزائر، 2010.

70. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الجزائرية والدولية، ط خ، الجزائر، 2009.

الفرنسية:

71. Rouvillons Madeline, le Pays de Ouragla, D.G.V., sarlonne.N°02, Paris. 1975 .

الدوريات و المقالات :

أ. بالعربية:

72. احمد بن ابي زيد قصبة ، ابن ناصر بن شهرة احد ابطال ثورة 1971، الاصالة ، ط1، العدد 6، الجزائر ، 2012.

73. بوعزيز يحي ، نماذج من مقاومة سكان الوحاة، مجلةالاصالة ، العدد 41 ، 1977.

74. عبد الحميد زوزو ، الوضع في منطقة وزرقلة ، قبيل الاحتلال الفرنسي ، مجلة الاصلة، عدد 16 ، الجزائر ، 2011.

75.عبد القادر شرشال ، دور الحركة السنوسية في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ن الملتقى 1و2 ، وهران ، 2013.

76. محمد بن عمر ، دور الزوايا ابن المقاومة و الثورة التحريرية ، اعمال الملتقى الوطني 1 و 2 ، وزارة المجاهدين ، 2007.

77. محمد بن محمد ، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد 20 ، قسنطينة ، 2003

78. مصطفى بن زاوي الكشوفات الاوروبين للصحراء الجزائرية ، مجلة العلوم الانسانية ، العدد 11، وهران ، 2004

79. مولود قايد ، ثورة سنة 1871 ونتائجها ، مجلة الاصالة ، العدد 23.1971

بالفرنسية :

80. Féraud Charles « Notes pour R.A .N°64 ;1923, pp 381-442.

الاطروحات

81. ابراهيم الونيسي ، القضايا الوطنية في جريدة المبشر ، 1847، 1870.مذكرة الماجستير في تاريخ الحديث و المعاصر ، الجزائر ، 1993، 1994

82. بلهادي رزيقة وكرشة زوبيدة ، السياسة الاستعمارية في الصحراء ، 1830-1871، شهادة ليسانس ، اشراف كلاخي ياقوت ،

83. عيسى عطاسي ، صورة الجزائر في ادب الرحال الفرنسي ، صيف في الصحراء لفرومونيتي، الجزائر ، 2005-2006.

84. فاطمة حباش ، سي الاعلى بن بوبكر ، القائد العسكري لثورة ولاد سيد الشيخ ن 1820، 1896.اشراف بن نعمية عبد المجيد ، شهادة الماجستير ، وهران، 2014-2015.

85. القرنابي عيساوية ، المقاومة في الجنوب ، ثورة الشريف محمد بن عمار ، 1852، شهادة ماستر في التاريخ الحديث، اشراف حباش فطيمة ، تيارت ، 2010

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة: ..... أ

المدخل :

محة تاريخية عن منطقة الأغواط 2

الفصل الاول

ابن الناصر بن شهرة قبل الثورة 1804-1850م

المبحث الأول: المرحلة الاستكشافية لمنطقة الأغواط: 26

المبحث الثاني: التوسع الفرنسي في منطقة الأغواط:..... 29

المبحث الثالث: مولد ونشأة ابن ناصر بن شهرة: 32

الفصل الثاني

تحالف ابن الناصر بن شهرة

مع الشريف محمد بن عبد الله 1851-1861م

المبحث الاول: مرحلة القوةو التوسع 1851- 1853..... 38

1-نبذة عن حياة الشريف محمد بن عبد الله. 29

2- انضمام بن الناصر بن شهرة إلى ثورة الشريف محمد بن عبد الله 42

3-مشاركته في حملة الأغواط سنة 1852م..... 43

المبحث الثاني: الضعف والتراجع 1853-1861 48

1-تراجع حركة محمد بن عبد الله ولجؤه مع ابن الناصر بن شهرة إلى تونس 48

2-اعتقال محمد بن عبد الله:..... 51

الفصل الثالث

مشاركة ابن ناصر بن شهرة في ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1869م

المبحث الأول: أصل أولاد سيدي الشيخ ونفوذهم السياسي : 54
1- أصل أولاد سيدي الشيخ: 54
2- اندلاع ثورة 1846م.: 59
أ- أسبابها: 60
ب- إعلان الجهاد: 62
المبحث الثاني: أهم العمليات العسكرية للناصر بن شهرة مع أولاد سيدي الشيخ: 64
1-حملة طاقين6 اوت 1864 65
2- حملة ورقلة : 08/فيفري/1865م: 67
3- هجومات الضاية وسعيدة: 69

الفصل الرابع

نشاط ابن الناصر بن شهرة مع الشريف بوشوشة وثورة المقراني 1869-1875م

المبحث الأول: ظروف اندلاع ثورة بوشوشة وظهور جماعة المداقنة: 74
1- على المستوى الدولي: 74
2-على المستوى الداخلي:..... 75
ظهور جماعة المداقنة 77
المبحث الثاني:إنضمامه للثورة الشريف بوشوشة. 78
1-السيطرة على ورقلة وتقرت:1871 78
2-السيطرة على بني يزقن: 82
المبحث الثالث: مرحلة الضعف والتراجع: 83

1-فقدان السيطرة والانسحاب نحو الجنوب: 84
2-مساندة بن شهرة للمقرانيين وعلاقتهم ببوشوشة: 85
3-مرحلة ضعف المقاومة:..... 88
خاتمة 92
الملاحق 96
قائمة المصادر والمراجع 101
فهرس الموضوعات 109